روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل

سري جدا !!

د. نبيل فاروق

العقل

144



ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرّية مطلقة ، من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ استغاثة ..

ارتفع هدير هليكوبتر الإسعاف الخاصة ، التى تحمل شعار رئاسة الجمهورية ، وهى تتجه مباشرة نحو المستشفى العسكرى ، عند أطراف (القاهرة الجديدة) ، وقادها الطيّار فى سرعة ومهارة ، نحو المهبط الخاص ، فى الساحة الخلفية للمستشفى ، وقبل حتى أن يهبط ، فى المكان المخصّص له ، كان رجال الطوارئ يسرعون نحو الهليكوبتر ، رافعين أمامهم محفة خاصة ، تتصل بها كل نظم ووسائل الإسعاف العاجل ..

وفور استقرار الهليكوبتر على الأرض ، وثب منها (أكرم) ، رجل المخابرات العلمية ، وعضو فريق المقدّم (نور) المتميّز ، وهو يهتف فى عصبية :

ـ أسرعوا بالله عليكم .. أسرعوا .. زوجتى (مشيرة) بحاجة إلى إسعاف عاجل .

لم تكن عبارته قد اكتملت بعد ، عندما بدأ الرجال عملهم بالفعل ، وهتف الطبيب المسئول ، وهو يربت على كتف (أكرم) :

ـ اطمئن يا سيدى .. لقد تلقينا البلاغ لاسلكيًا ، وكل شىء معدّ لاستقبال زوجتك وإسعافها .. اطمئن .

مع كلماته ، كان المسعفون قد نقلوا جسد (مشيرة) إلى محفتهم بالفعل ، وأوصلوا جسدها بكل وسائل الإسعاف والعناية ، قبل أن يندفعوا بها إلى الداخل ، فاندفع (أكرم) خلفها ، وهو يهتف فى انفعال :

ـ رباه .. ساعدها على تجاوز هذه المحنة .

تطلّع إليه الطبيب فى دهشة ، وهزّ رأسه ، مغمغمًا :

ـ عجبًا ! لم أر زوجًا أشدّ انزعاجًا على زوجته ، مثل هذا الرجل !! يبدو أنه يحبها بحق .

سرت فى جسده ارتجافة ، عندما سمع صوتًا حازمًا ، يقول من خلفه :

ـ أكثر مما تتصورُ .

استدار الطبيب فى سرعة إلى مصدر الصوت ، قبل أن يهتف فى انبهار :

ـ سيادة الرائد (نور) ، بطل التحرير[*] !!

أجابه (نور) فى هدوء ، لا يخلو من الحزم :

ـ مقدّم أيها الطبيب .. رتبتى الآن هى مقدّم .

ارتبك الطبيب ، وهو يبتسم ، قائلاً :

ـ معذرة يا سيادة المقدّم .. لقد اعتدنا ذلك اللقب ، الذى كنت تحمله أيامها .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ كل شىء يتطورُ مع الزمن .

(*) راجع قصة (النصر) ... المغامرة رقم (٨٠) .

هَمَّ الطبيب بقول شىء آخر ، ولكن (نور) استوقفه ، قائلاً فى صرامة :

ـ أرجو أن يتم إسعاف السيِّدة (مشيرة) ، بمنتهى السرعة والدقة .

انتبه الطبيب إلى الأمر ، فانتفض قائلاً :

ـ بالتأكيد يا سيادة المقدَّم .. بالتأكيد .

ثم تابع فى اهتمام ، وهو يعدِّل معطفه ، ويهمّ بالإسراع خلف المسعفين :

ـ ألديك فكرة عما عانته السيِّدة ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يجيب :

ـ الكثير .. الكثير جدًا .

نطقها ، وعقله يسبح بعيدًا ، وسط بحر من الذكريات .

ذكريات البداية ..

بداية تلك الأحداث الرهيبة ..

كان يجهل تمامًا كيف نشأ كل هذا ، فى معبد بوذى قديم ، فى قلب جبال (التبت) ..

كيف قضى ذلك المجهول عقدين من الزمن ، فى قلب ذلك المعبد ؛ لتنمية قواه العقلية المتطوِّرة ، والقفز بها إلى درجات لم يبلغها بشرى من قبل ..

وبالصبر ، والإرادة ، بلغ ما أراد ..

بلغ مرحلة مذهلة ، من قدرة عقله على السيطرة التامة ، على عقول الآخرين ..

ليس عقولهم فحسب ، بل وكل ما حولهم أيضًا ..

وما يعرفه (نور) ، يبدأ منذ لحظة الاختبار ..

منذ أعلن ذلك المجهول عن وجوده ، من خلال تهديد زائف ، لرجل الأعمال الشهير (شريف صابر) ، الذى طالبه بمليار جنيه دفعة واحدة ، مقابل أن يبقى على حياته ..

فعلها ، وهو يدرك أن الرجل لن يستجيب ..

ولن يخضع له أبدًا ..

ولكنه سيبلغ الشرطة ..

بل وسيبلغ كل وسائل الإعلام أيضًا ..

وهذا بالضبط ما كان يريده هو ..

الانتشار ..

أن يدرك العالم كله وجوده ..

وعلى أوسع نطاق ممكن ..

وأمام عيون رجال الشرطة ، وعدسات (أنباء الفيديو) ، سيطر تمامًا على عقل رجل الأعمال الشهير ، ودفعه إلى إلقاء نفسه عبر النافذة ..

بلا أدنى رحمة أو شفقة ..

وعلى الرغم من محاولة (نور) وفريقه المستميتة ؛ لمنع بث ذلك الفيلم عالميًا ، وعلى الرغم من إيقاف كل آلات البث عن العمل ، تم عرض الفيلم ..

وكانت مفاجأة مذهلة ..

وانتصارًا ساحقًا لذلك العقل الجبار ..

العقل الشرير ..

إلى أقصى حد ..

وبدأ (نور) ورفاقه عملية بحث وتحقيق واسعة ..

بدءوا فى إعادة فحص كل شىء ..

كل شىء بلا استثناء ..

وهنا ، انتقل صاحب ذلك العقل إلى الخطوة التالية ..

والضربة التالية ..

فجأة ، وبلا سابق إنذار ، تحوّل رئيس طاقم أمن (أنباء الفيديو) إلى أداة رهيبة ، تحت سيطرة المجهول ، صاحب العقل الرهيب ..

وكانت مواجهة عنيفة ..

عنيفة للغاية ..

مواجهة ، لم تنحسم ، إلا بعد أن وقع عقل (مشيرة) أيضًا ، تحت السيطرة نفسها ..

وبانتحار رئيس طاقم الأمن ، أصبح على (أكرم) أن يواجه أصعب خصم فى الوجود كله ..

زوجته (مشيرة) ..

فى نفس الوقت ، كانت (سلوى) و(نشوى) تبذلان قصارى جهدهما ، لتتبُّع وتفسير موجات شبه مخية ، متناهية الصغر ، ثم التقاطها بوساطة جهاز جديد شديد التطور ، فى إدارة الأبحاث ، التابعة للمخابرات العلمية المصرية ..

وتأكَّدت (نشوى) من أنها موجات مخية بالفعل ..

موجات مخية فائقة للغاية ..

وكانت هناك موجة أخرى ..

موجة غامضة ، مجهولة ، غير مميَّزة ..

وكانت (نشوى) واثقة ، من أن تلك الموجة تحمل لغزًا ..

لغزًا مدهشًا ..

للغاية ..

وفى نفس الوقت ، الذى أدرك فيه ذلك العقل ، أن (سلوى) قد نجحت فى تتبُّع موجاته العقلية وتعقبها ، وأوشكت أن تحدد مكانه ، وتوقف تمامًا عن استخدام قوته ، حتى يمنعها من هذا ، استعادت (مشيرة) سيطرتها على عقلها ، وأدركت ما فعلته ، وهوت فاقدة الوعى ، من شدة الذعر ..

أما (رمزى) ، فقد توصَّل بالفعل إلى اسم ذلك المجهول ، الذى محا كل بياناته المسجَّلة تمامًا ، ثم أشعل بقدراته العقلية الفائقة النار فى المكان ..

وكاد (رمزى) يلقى مصرعه ..

حتى أوقف المجهول قواه العقلية ..

وسقط (رمزى) ، من وطأة الدخان الكثيف ..

أما (سلوى) ، و(نشوى) ، فقد نجحتا فى كشف طبيعة تلك الموجة المجهولة ..

ووجدنا أمامهما مفاجأة ..

مفاجأة مذهلة ..

بكل المقاييس(*) ..

* * *

فرك (أكرم) كفيه فى عصبية بالغة، وهو يتحرك أمام حجرة إسعافات الطوارئ، قائلاً:

ـ يا إلهى! لو أصابها أدنى مكروه، لن أغفر لنفسى أبدًا.

ثم استدار إلى (نور)، مستطردًا فى غضب:

ـ ولن أغفر لك أيضًا يا (نور).

شدّ (نور) قامته، وهو يقول فى حزم:

ـ اهدأ وتماسك يا (أكرم).. زوجتك بخير، وكل ما تعانيه مجرد انفعال طارئ، وصدمة عصبية محدودة، سرعان ما تتعافى منها.

(*) لمزيد من التفاصيل، راجع الجزء الأول (بلا جسد) ... المغامرة رقم (١٤٢).

صاح (أكرم) فى غضب:

ـ أنت المسئول يا (نور).. أنت واصلت الضغط على أعصابها، حتى لم تعد..

قاطعه (نور) فجأة، فى صرامة شديدة:

ـ اصمت.

حدّق (أكرم) فى وجهه بدهشة، اتسعت لها عيناه، على نحو عجيب، وعجزت معها الكلمات عن تجاوز حلقه وشفتيه، و(نور) يتابع، بنفس الصرامة القاسية:

ـ لا تنس أبدًا أننا هنا داخل مستشفى، وزوجتك ليست المريضة الوحيدة فيه، والآخرون لهم الحق فى الهدوء والراحة.

ثم مال نحوه، وتطلّع إلى عينيه مباشرة، مستطردًا بنفس اللهجة:

ـ أضف إلى هذا أننا فى قلب واحدة من أكثر عملياتنا خطورة، وأن مصير العالم كله ربما يتوقف على

ما سنحققه فيها، ولايحق لنا، والحال هكذا، أن ننشغل بأمورنا الشخصية، عن صالح الدنيا كلها، مهما بلغت خطورة تلك الأمور.

انفرجت شفتا (أكرم)، الذى بدا مصعوقًا، وبدا لبضع لحظات أنه سينطق شيئًا ما، إلا أنه لم يلبث أن خفض عينيه أرضًا، وراح يلهث لبضع لحظات أخرى، وكأنما يحاول السيطرة على أعصابه، قبل أن يغمغم:

- هذا بديل للصفعة.

انعقد حاجبا (نور)، وهو يتساءل، فى حذر لم يدر سببه:

- بديل لماذا ؟!

رفع (أكرم) عينيه إليه، مجيبًا:

- بديل لتلك الصفعة التقليدية، التى يهوى بها الطبيب النفسى، على وجه المصاب بالانهيار العصبى؛ لإخراجه من حالته.. أنت الآن استخدمت معى عبارة

قاسية صارمة مفاجئة؛ لتؤدى الغرض نفسه.. أليس كذلك ؟!

صمت (نور) لحظة، وهو يتطلع إليه، قبل أن يبتسم، قائلاً:

- هل كنت تفضل أن أصفعك ؟!

ابتسم (أكرم) بدوره، وهو يربت على كتفه، قائلاً:

- أظننى كنت سألكمك لحظتها يا (نور).

أطلق كلاهما ضحكة قصيرة، قبل أن يجلس (أكرم) على مقعد مجاور، ويهز رأسه، قائلاً فى أسى:

- إننى أحبها كثيرًا يا (نور).

ربت (نور) على كتفه بدوره، وجلس إلى جواره، قائلاً:

- أعلم هذا يا (أكرم)... أعلم هذا يا صديقى.

وصمت لحظة، ثم عاد يلتفت إليه، متابعًا فى اهتمام:

- (مشيرة) لديها مفتاح ذلك اللغز الرهيب ، الذى نواجهه جميعًا يا (أكرم) .. إنها وحدها رأت خصمنا فى عقلها .

غمغم (أكرم) :

- ولقد أصابها هذا بصدمة عنيفة .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يعتدل فى مجلسه ، قائلاً :

- هناك سبب منطقى لهذا حتمًا .

استعاد (أكرم) عصبيته ، وهو يقول :

- وهل سندفعها إلى الانتحار ، حتى نعرف هذا السبب ؟!

ازداد انعقاد حاجبى (نور) بعض الوقت ، قبل أن يهبّ من مقعده فجأة ، قائلاً فى صرامة عجيبة :

- اسمع يا (أكرم) .. لابد أن نتدخّل الآن .. لاينبغى أن تستعيد (مشيرة) وعيها .

اتسعت عينا (أكرم) فى دهشة ، وهو يهب واقفًا بدوره ، ويهتف مستنكرًا :

- لا ينبغى أن تستعيد وعيها ؟! أى قول هذا يا (نور) ؟!

أمسك (نور) كتفيه فى قوة ، قائلاً :

- اسمعنى جيدًا يا (أكرم) .. حديثك عن الانتحار نبهنى إلى أمر بالغ الخطورة .. (مشيرة) هى الشاهد الوحيد لدينا ، وطرف الخيط الأمثل ، للوصول إلى خصمنا المجهول ، وهو يعلم هذا بالتأكيد ، ولن يتجاوز عنه قط ؛ لإدراكه أن كل ما نحتاج إليه ، هو طرف الخيط هذا ، ليقودنا إليه مباشرة ، ولست أدرى ما إذا كنت على حق أم لا ، ولكننى أعتقد أن بقاء (مشيرة) فى حالة الغيبوبة هذه ، يمنعه من السيطرة على عقلها ، ومنعها من الانتحار بأية وسيلة .

عادت عينا (أكرم) تتسعان فى ارتياع ، وهو يهتف :

- رباه ! حديثك يبدو منطقيًا يا (نور) .

ثم استدار إلى باب حجرة إسعافات الطوارئ ، مستطردًا فى توتر بالغ :

- لابد وأن تظل (مشيرة) فاقدة الوعى ، مهما كان الثمن .

أشار (نور) بسبابته ، قائلاً :

- بالضبط .. وفى سبيل هذا ، ينبغى أن ...

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع أزيز جهاز الاتصال الخاص به بغتة ، فرفعه إلى شفتيه بحركة سريعة ، وضغط زر الاتصال ، قائلاً فى اهتمام متوتر :

- هل من جديد يا (سلوى) ؟!

أجابته زوجته فى سرعة ، وبانفعال ملحوظ :

- (نور) .. ذلك الشخص كشف محاولتنا لتتبُّع موجاته العقلية الفائقة ، وأوقفها على الفور .

سألها (نور) فى اهتمام :

- ومتى حدث هذا بالضبط ؟!

أجابته :

- منذ عشرين دقيقة تقريبًا يا (نور) .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول :

- يا إلهى ! هذا يفسر كل شىء .

سألته فى توتر :

- ما الذى يفسره يا (نور) ؟!

لم يجب تساؤلها ، وإنما سألها فى شىء من الحدة :

- ما دام هذا قد حدث منذ عشرين دقيقة ، فلماذا لم يتم إبلاغى به فورًا .

ازدردت لعابها فى توتر ، قبل أن تجيب :

- لقد انشغلنا بشدة ، فى الموجة الثانية يا (نور) .

سألها ، وقد أدرك أهمية الأمر ، فى لهجتها المتوترة :

- ماذا عنها ؟!

أجابت في سرعة عجيبة :

- (نشوى) نجحت في تنقيتها ، وفي تحويلها إلى موجة صوتية عالية ؛ لنكتشف أنها استغاثة يا (نور) .

هتف بكل دهشة :

- استغاثة ؟!

قالت بنفس السرعة :

- نعم يا (نور) .. استغاثة .. استغاثة من عالم بعيد عن عالمنا ، ولكنه يشاركنا الحدود نفسها .

هتف بها في توتر :

- هل تعتقدين أن الأمر يحتمل ألغازًا إضافية ؟!

أجابت في انفعال :

ليس لغزًا يا (نور) ، بل مفاجأة .. مفاجأة مذهلة !

كاد حاجباه يلتحمان ، وهو يهتف :

- مفاجأة مذهلة ؟! ماذا تعنين بالضبط يا (سلوى) ؟!

أجابت بانفعال جارف :

- قلت لك : إن (نشوى) قد نجحت في تحويل الموجة متناهية الصغر ، إلى موجة مسموعة ، ولقد ميّزنا صوت صاحبها يا (نور) .. إنه .. إنه ..

غلبها انفعالها لحظة ، قبل أن تهتف :

- إنه (محمود) يا (نور) .. زميلنا (محمود) (*)

وانتفضت كل ذرة في كيان (نور) ..

كل ذرة ..

* * *

لقد كشفوا أمره ..

عقله الجبار أدرك هذا ؛ عندما التقط موجاتهم متناهية القصر ..

ولقد أدهشه هذا حقًا ..

فوفقًا لآخر وأحدث معلوماته العلمية ، لا توجد وسيلة واحدة ، لالتقاط موجات عقله الفائقة ..

(*) راجع قصة (الزمن - صفر) ... المغامرة رقم (١٠٠) .

أو لم تكن توجد ..

وما حدث يثبت أن العالم يتطوّر ..

وبمنتهى السرعة ..

والآن عليه أن يتخذ قرارًا حاسمًا ..

ما التقطه عقله ، يؤكد أنهم يستخدمون وسيلة متطوّرة للغاية ، وأن باستطاعتهم التوصّل إلى موقعه ، خلال أربعين ثانية فحسب ..

ثم إن هذه المهلة ستبدأ ، فور استخدامه لقواه العقلية ..

ولو أنه عجز عن استخدامها ، فسيعني هذا أن خطة انتقامه من البشرية كلها قد فشلت وانهارت ..

وهو لن يسمح بهذا أبدًا ..

مهما كان الثمن ..

وفي صمت شديد ، وهو يجلس القرفصاء ، كتمثال جامد جاف ، راح عقله الجبار يدرس الموقف كله ..

أربعون ثانية ، هي كل زمن القتال المتاح ..

القتال بين تكنولوجيتهم المتطوّرة ..

وعقله ..

فقط عقله ..

وعلى نحو مخيف ، تألقت عيناه ..

إنه تحد جديد ..

تحد يفوق المعتاد ..

ولكنه يروق له ..

فالانتصار هذه المرة سيعني الكثير ..

الكثير جدًّا ..

الانتصار على تكنولوجيتهم سيثبت قوته ..

وخطورته ..

سيحطّم روحهم المعنوية ..

وإرادتهم ..

ومقاومتهم ..

لذا ، فلابد له من أن يضرب ضربته ..

الآن ..

وبمنتهى العنف ..

خلال أقل من أربعين ثانية ..

ولدقيقة كاملة ، ظل جامدًا صامتًا ، وكأنما يعدّ عقله وطاقاته ..

ثم انطلق ..

انطلق بأقوى وأخطر أسلحته ..

العقل ..

* * *

« كيف نستقبل أبى الخير يا ماما ؟! »

ألقت (نشوى) سؤالها فى اهتمام ، فلوّحت (سلوى) بيدها ، قائلة فى توتر واضح :

ـ أعتقد أنه من الأفضل أن نفتح كل الأبواب فى طريقه ، فالوسيلة التى أنهى بها المحادثة ، توحى بأنه سيقتحم المكان كالصاروخ ، خلال دقيقة واحدة .

غمغم رئيس فريق العلماء فى دهشة :

ـ إلى هذا الحد ؟!

أجابته (نشوى) فى انفعال :

ـ لن يمكنك أن تتصور أبدًا كم يعنيه هذا بالنسبة لنا .. لقد فقدنا (محمود) هذا فى نهر الزمن ، منذ بضعة أعوام ، وعلمنا بعدها أنه ما زال حيًا ، داخل الفراغ الزمنى العام -(*)

اتسعت عينا عالم الاتصالات ، وهو يقول فى انبهار :

ـ نهر الزمن ؟! الفراغ الزمنى العام ؟! رباه ! إنك تتحدثين بمنتهى البساطة يا سيدتى ، عن أمور يجاهد فريقنا كله لفهمها ، وإيجاد المعادلات والنظريات الخاصة بها .

أجابته فى حزم :

ـ ربما لأننى عشتها بنفسى يا سيدى .

(*) راجع قصة (التعاون) ... المغامرة رقم (١٤٢)

أشار بأصابعه ، قائلاً :

- ربما هذا ما يبهر أكثر يا سيدتى .

ثم التفت إلى رئيس الفريق ، متابعًا فى حماسة :

- وأظنه مبررًا كافيًا ؛ لانضمامك إلينا رسميًا ، فى أبحاثنا الزمنية هذه .

انعقد حاجباها ، وهى تقول :

- ربما فيما بعد .

أجابها رئيس الفريق فى سرعة :

- أنت دومًا على الرحب والسعة يا سيدة (نشوى) .

تنهدت مغمغمة :

- أنا واثقة من هذا .

ثم أضافت فى اهتمام :

- ولكننى الآن منشغلة بأمر آخر ، ربما يكون أكثر أهمية وخطورة ، من وجهة نظرى على الأقل ؛ فلأول مرة ، منذ أن فقدنا (محمود) ، نجد وسيلة للاتصال به ..

المشكلة الوحيدة أن جهازكم قادر على الاستقبال وليس البث ، وربما عاونتكم أمى فى تطويره ، بحيث يمكننا أن نتصل بزميلنا (محمود) مباشرة ، مما يمكن أن يعاوننا ، على إيجاد سبيل لاستعادته .. أليس كذلك يا أمى ؟!

لم تسمع جوابًا من أمها ، فالتفتت إليها ، مكررة :

- أليس كذلك ؟!

لم تجب (سلوى) سؤالها ، فى هذه المرة أيضًا ، وهى تشير إلى شاشة جهاز استقبال الموجات متناهية القصر ، قائلة فى انفعال :

- لقد عاد .

استدار الجميع إلى الشاشة ، فى حركة واحدة ، وشهقت (نشوى) ، مع مرأى تلك الموجات المخية الفائقة ، وهى تحتل الشاشة مرة أخرى ، وتعود للامتزاج بموجات الاستغاثة ، التى يرسلها (محمود) ، فى حين هتف عالم الاتصالات فى انفعال :

- جهازك يا سيدة (سلوى) .

بدت (سلوى) جامدة تمامًا، وهي تحدق في شاشة الجهاز الجديد، فدفعت إليها (نشوى) جهاز التتبُّع المتطوِّر، هاتفة:

- جهازك يا أمي.. أسرعي بالله عليك، قبل أن..

بترت (نشوى) هتافها دفعة واحدة، ليتحوَّل الجزء الأخير منه إلى شهقة ذعر ولوعة، عندما اختطفت منها (سلوى) جهاز التتبُّع، بحركة قاسية عنيفة، ثم رمقتها بنظرة مخيفة..

نظرة بدت فيها عيناها، أشبه بقطعتين من الجحيم، قبل أن تقول:

- أشكرك.

نطقتها بصوت آلي جاف رهيب، جعل رئيس الفريق يتراجع بحركة حادة، صائحًا:

- رباه! ماذا حدث؟!

أما عالم الاتصالات، فقد صرخ في ارتياع:

- يا إلهي! يا إلهي! ودون أن تعير الجميع أدنى

اهتمام، وفي آلية عجيبة، استدارت (سلوى) بجهاز التتبُّع نحو شاشة الجهاز الجديد، المسئول عن استقبال الموجات متناهية القصر، وهي تضيف:

- كنت أحتاج إليه كثيرًا.

ورفعت جهاز التتبُّع عاليًا، فصرخت (نشوى):

- لا يا أمي.. لا..

ومع آخر حروف كلماتها، وقبل حتى أن تكتمل صرختها، هوت (سلوى) بجهاز التتبُّع، على شاشة جهاز الموجات الجديدة..

وبمنتهى القوة.

* * *



٢- كل الشر..

سقط (رمزى) فى قوة، وهو يستعيد وعيه، فى مستشفى الطوارئ، وشعر بآلام شديدة فى صدره، وهو يفتح عينيه، مغمغمًا:

- أين أنا؟!

أتاه صوت أحد الأطباء، وهو يقول فى خفوت:

- اطمئن يا دكتور (رمزى).. لقد نجوت من ذلك الحريق العجيب، فى مقر السجلات الطبية الرئيسى، وأنت الآن فى مستشفى الطوارئ، التابع لوزارة الصحة.

لم يفهم (رمزى) معنى هذه الكلمات فى البداية، إذ بدت له ذات إيقاع عجيب غير واضح، ثم لم يلبث الموقف كله أن وثب إلى ذهنه دفعة واحدة، فاتسعت عيناه عن آخرهما، وهو يهب جالسًا على فراشه، ليهتف:

- رباه! ذلك الحريق.

حاول الطبيب تهدئته، وإعادته إلى الرقاد فى رفق، قائلاً:

- اهدأ يا دكتور (رمزى).. الحريق انتهى، و...

أزاحه (رمزى) بعيدًا، ووثب من الفراش، هاتفًا:

- لابد أن يعلم (نور) بما حدث، وفورًا.

ولكنه لم يكد يضع قدميه على الأرض، حتى شعر بدوار عنيف يكتنف رأسه، ودارت الحجرة كلها أمام عينيه، وعجزت ساقاه عن حمله، وتخاذلتا تحته، فكاد ينهار أرضًا، لولا أن تشبث بطرف الفراش، فأسرع الطبيب يعاونه على التماسك، وهو يهتف معترضًا:

- ألم أقل لك؟!

لهث (رمزى) على نحو عجيب، وهو يبذل جهدًا خرافيًا؛ للبقاء واعيًا، وهو يقول فى ضعف:

- ما توصلت إليه خطير للغاية... لابد أن يعرفه (نور) فورًا.



كاد ينهار أرضًا ، لولا أن تشبّث بطرف الفراش ، فأسرع الطبيب يعاونه على التماسك ..

ثم تشبّث بالطبيب ، الذى يحاول إعادته إلى فراشه ، هاتفًا :

ـ ربما يكون طرف الخيط ، الذى يبحث عنه .. ربما .

سأله الطبيب فى اهتمام :

ـ أتقصد سيارة المقدّم (نور الدين) ، رجل المخابرات العلمية الأشهر ؟!

هتف (رمزى) ، وتلك الغيبوبة تهاجم عقله ومخه فى شراسة :

ـ نعم .. إنه هو .. أبلغه أننى هنا ، وأننى أريده فورًا .. هل تفهم ؟! فورًا .

نطق كلمته الأخيرة ، فى نفس اللحظة التى نجحت فيها تلك الغيبوبة العميقة فى هجومها ، فانهار جسده دفعة واحدة ، وهوى على فراشه فاقد النطق ..

أما الطبيب ، فقد أعاده إلى موضعه الأول على الفراش ، وهو يهتف بممرضته :

ـ عربة الإسعافات بسرعة .. هيا .

أسرعت الممرضة لإحضار عربة الطوارئ ، فى حين اعتدل الطبيب ، والتقى حاجباه ، وهو يتساءل فى توتر :

- المقدّم (نور) ! ترى كيف يمكن الاتصال برجل مثله ؟!

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، وفى المستشفى العسكرى ، على مسافة عدة كيلومترات ، كان طبيب آخر يحدق فى وجه (أكرم) بمنتهى الدهشة ، وهو يهتف مستنكراً :

- لا تريد إفاقة زوجتك من غيبوبتها ؟! أى قول هذا يا رجل ؟!

أجابه (أكرم) فى صرامة حادة :

- هذا ما أطلبه منك فحسب يا رجل ، فلن يمكننى تفسير سبب مطلبى هذا .

عقد الطبيب ساعديه أمام صدره ، قائلاً فى إصرار :

- وأنا أصرّ على عدم فعل أمر كهذا ، يتنافى مع أبسط قواعد الطب والإنسانية ، دون سبب قوى لهذا .

بدا الغضب على وجه (أكرم) ، وهو يقول :

- نحن رجال مخابرات علمية يا رجل ، والقانون نفسه لا يمكن أن يجبرنا على إفشاء أسرار العمل .

أجابه الطبيب فى عناد أكثر :

- ونحن أطباء ، ولا أحد يمكن أن يجبرنا على القيام بأى عمل ، يخالف المواثيق الطبية ، ما لم يكن فيه صالح المريض .

هتف (أكرم) :

- بالضبط .. وما أطلبه منك هو لصالح زوجتى تماماً ، بل ويمكن أن يعنى بقاءها على قيد الحياة .

قال الطبيب فى حدة مستنكرة :

- بأن تبقى فاقدة الوعى ؟!

صاح فيه (أكرم) فى غضب :

- هذه هى الوسيلة الوحيدة ؛ لإنقاذ حياتها .

صاح الطبيب بدوره :

- لا يوجد أى منطق علمى لما تقول .

لم يجبه (أكرم) هذه المرة، وعيناه وعقله يتابعان ممرضة شابة، دلفت إلى حجرة زوجته (مشيرة)، بأسلوب آلى عجيب، جعله يسحب مسدسه، قائلاً فى عصبية:

- لو أن هذا يعنى ما أتصوره، فـ..

يبتر عبارته دون مبرر، وكأنما لم يجد حاجة لاستكمالها، وهو يندفع نحو حجرة (مشيرة)، فهتف الطبيب فى ذعر:

- يا إلهى! مسدس؟! هذا محظور تمامًا هنا.

تجاهله (أكرم) تمامًا، وهو يواصل العدو نحو حجرة زوجته، فصرخ الطبيب فى انفعال:

- الأمن .. أين طاقم الأمن؟!

وقبل أن تكتمل عبارته، كان (أكرم) يقتحم حجرة زوجته فى عنف، على الرغم من كل اللافتات، التى تحذر من العنف والضوضاء ..

ولقد أحدث اقتحامه جلبة واضحة قوية، فى المكان كله ..

ولكن الممرضة لم تحرك ساكنًا، وكأنها لم تشعر حتى بوجوده، وهى تحمل محقنًا من الألياف الزجاجية، فى سبيلها لدفع تلك المادة الشفافة داخله، فى زجاجة المحلول، الذى يسرى فى عروق (مشيرة) ..

ولقد حسم برودها هذا الموقف كله، فى أعماق (أكرم) ..

ودون أدنى تردد، رفع فوهة مسدسه ..

وأطلق النار ..

ودوى صوت الرصاصة فى الطابق ..

بل فى المستشفى كله ..

وفى بداية الممر، صرخ الطبيب مذعورًا، فى رجال أمن المستشفى العسكرى، الذين هرعوا إلى المكان بالفعل، إثر استغاثته بهم:

- أسرعوا بالله عليكم .. لقد بدأ هذا المجنون فى إطلاق النار.

لم يدر أحدهم أن رصاصة (أكرم) قد أطاحت بالمحقن فحسب، قبل أن ينقض هو على الممرضة، صائحًا:

- محاولة حقيرة أيها الوغد.

انقض على الممرضة بمنتهى العنف، وبقوة تكفى لسقوطهما معًا. إلا أنها، وعلى الرغم من ضآلة جسدها، بدت أشبه بجدار من الصلب، وهى تمسك معصمه بقوة فولاذية، قائلة بذلك الصوت الآلى المخيف:

- لن يمكنك أن تمنع هذا.

وبحركة سريعة مدهشة، أدارت ذراعه كلها، ليدور جسده معها فى الهواء، على الرغم من قوته، ويسقط على ظهره أرضًا فى عنف..

وقبل أن يحاول (أكرم) النهوض، ركلته فى معدته بقوة خرافية، مستطردة بنفس الصوت الرهيب:

- سأظفر بما أريد، حتى ولو كان الثمن هو حياتك.

كان الألم رهيبًا، حتى لقد تصور (أكرم) أن أحشاءه قد تمزقت، وأن أعماقه كلها صارت تسبح فى بحر من الدم، سال بالفعل من بين شفتيه، اللتين كتمتا صرخة ألم عالية، تفجّرت فى مخه، مع صرخة أخرى أكثر ارتفاعا..

صرخة تحذره من مصير زوجته، لو استسلم لآلامه..

تلك الصرخة الأخيرة، جعلته يثب واقفًا على قدميه، وهو يصوّب مسدسه إلى الممرضة الضئيلة، صائحًا:

- أعلم أنك لا تدركين ما تفعلينه، ولكن ليس أمامى من سبيل لإيقافك، سوى..

« ألق سلاحك وإلا..»

انطلق الهتاف فجأة قويًا صارمًا، من بين شفتى قائد أمن المستشفى العسكرى، وهو ورجاله يصوبون أسلحتهم فى تحفز، نحو (أكرم)، الذى صاح فى

غضب ، دون أن يخفض مسدسه ، أو يرفع عينيه عن الممرضة :

ـ أنا رجل مخابرات علمية أيها الأغبياء .

صاح به قائد الأمن ، فى صرامة أكثر :

ـ ألق سلاحك ، أو نطلق النار بلا رحمة .

صاح (أكرم) :

ـ هذه الممرضة تسعى لقتل زوجتى .

هتف الطبيب فى توتر :

ـ لا تصدقوه .. هذه أفضل ممرضة فى القسم كله .. إنه مجنون حتمًا .. أوقفوه فورًا .

نقلت الممرضة بصرها بين الجميع ، دون أن تنبس ببنت شفة ، ثم استدارت تلتقط محقنًا جديدًا ، يحوى نفس المادة الشفافة ، فصاح بها (أكرم) فى غضب صارم متوتر :

ـ ألقى هذا المحقن ، أو ...

قاطعه قائد الأمن فى حدة :

ـ بل ألق أنت سلاحك يا هذا ، قبل أن تسوء الأمور أكثر ، ويحدث ما لا تحمد عقباه .

صرخ (أكرم) ، وهو يجذب مسدسه ، عندما رآها ترفع يدها بالمحقن الجديد ، نحو زجاجة المحلول ، المتصلة بأوردة (مشيرة) مباشرة :

ـ إنها لن تستجيب .. تلك الوغد يسيطر على عقلها تمامًا .. ستقتل زوجتى ، لو لم أوقفها بأى ثمن .

انعقد حاجبا قائد الأمن فى غضب ، وصاح برجاله :

ـ استعدوا لإطلاق النار .

جذب الرجال إبر مسدساتهم فى تحفز ، وصرخ (أكرم) :

ـ هذه الممرضة ستقتل زوجتى .

تجاهلت الممرضة الموقف كله ، وغرست إبرة المحقن فى الزجاجة البلاستيكية ..

ولم يعد أمام (أكرم) خيار ..

فلو منحها ثانية واحدة إضافية، للضغط على مكبس المحقن، سيعني هذا مصرع زوجته الفاقدة الوعي..

وهو لن يسمح بهذا أبدًا..

أبدًا..

ودون ذرة واحدة من التردد، ضغط (أكرم) زناد مسدسه..

وانطلقت رصاصته..

واخترقت رأس الممرضة المسكينة..

وفي اللحظة نفسها، ودون أدنى تردد أيضًا، ضغط رجال أمن المستشفى العسكري أزندة مسدساتهم..

وانطلقت النيران..

كالمطر..

* * *

دوت (سلوى) بجهاز التتبع الذي يخصها، على شاشة جهاز استقبال الموجات فائقة القصر، بكل قوتها..

وكان الدوي أعنف مما تصوّر الجميع..

الشاشة البلورية الكبيرة تحطمت في عنف، وتناثرت قطعها في كل مكان، وتحطم معها جهاز (سلوى) أيضًا، مع صرخة (نشوى) المذعور:

ـ أماه!! ماذا فعلت ؟!

وانطلق رئيس فريق العلماء يعدو مبتعدًا، وهو يصرخ:

ـ النجدة.. النجدة.. استدعوا الأمن فورًا.

ودون أن تبالي بصراخه، رفعت (سلوى) ما تبقى من جهازها المحطم، وهوت به على أزرار الجهاز الجديد، و(نشوى) تواصل صراخها:

ـ لقد حطمت آخر أمل لنا، في الاتصال بـ (محمود).

اتسعت عينا عالم الاتصالات عن آخرهما، وتراجع بضع خطوات إلى الخلف، ثم لم يلبث أن هتف في غضب:

ـ لا.

ثم انقض على (سلوى) فى شراسة عجيبة ، صارخًا :

- لقد أفسدت مجهود عام بأكمله .

استدارت إليه (سلوى) بسرعة مذهلة ، واستقبلت انقضاضته بضربة عنيفة ، من بقايا جهازها ، جعلته يرتد خلفًا فى قوة ، ثم يسقط أرضًا ، والدماء تتفجر من أنفه وفمه فى غزارة ..

وصرخت (نشوى) ، ودموعها تنزف من عينيها :

- يا إلهى ! ماذا أصابك يا أمى ؟! ماذا أصابك ؟!

ألقت (سلوى) ما تبقى من جهازها أرضًا ، فى لامبالاة تامة ، ثم استدارت إلى (نشوى) فى بطء مخيف ، قبل أن تتألق عيناها ببريق مخيف ، قائلة :

- الآن لم يعد لديكم سلاح .

سرت ارتجافة قوية فى جسد (نشوى) ، وهى تحدق فى وجه أمها ، غير مصدقة لذلك الصوت المخيف ،

الذى انبعث من بين شفتيها ، وتراجعت مع اقتراب (سلوى) منها ، مواصلة بنفس الصوت واللهجة :

- هل تصورتم أن باستطاعتكم هزيمتى ؟

ارتجف صوت (نشوى) ، وهى تقول :

- من .. من أنت ؟!

تابعت (سلوى) ، وهى تواصل اقترابها منها :

- معى ستخسرون دومًا .

وصل رجال الأمن فى هذه اللحظة ، وصوبوا أسلحتهم إلى (سلوى) فى صرامة ، وكبيرهم يصيح :

- توقفى يا سيدتى ، وإلا ..

توقفت (سلوى) بالفعل ، وأدارت عينيها إليهم ، قائلة بصوتها المخيف :

- وإلا ماذا ؟! هل ستقتلوننى ؟!

هتف بها كبيرهم بنفس الصرامة :

- أتعشم ألا تضطرينا لهذا يا سيدتى .

تحركت (سلوى) نحوهم، قائلة:

- وكيف ستضطركم إلى هذا؟!

صاح بها الرجل:

- توقفى يا سيدتى.. لا تقتربى أكثر.

ولكنها تجاهلته تمامًا، وواصلت طريقها نحوه، متابعة:

- بأن أقترب منكم مثلاً؟!

انعقد حاجبا الرجل فى توتر، وصاح برجاله فى صرامة:

- استعدوا لإطلاق النار.

رفع الرجال بنادقهم الليزرية، وصوّبوها إلى رأس (سلوى) بالفعل، فصاحت (نشوى) فى ارتياع:

- لا.. ليس أمى.

اندفعت محاولة منع أمها، من مواصلة الاقتراب

من رجال الأمن، إلا أن (سلوى) استدارت إليها فى اللحظة الأخيرة، ولطمتها لطمة قوية، ألقتها أرضًا فى عنف، جعل قائد رجال الأمن يهتف بهم:

- سنطلق النـ..

قبل أن يكتمل هتافه، انبعث صوت (نور) الصارم القوى، وهو يهتف:

- كلاّ.

استدار الرجال إليه فى سرعة، ولم يكد بصرهم يقع عليه، حتى انخفضت فوهات بنادقهم بحركة غريزية، فى حين استدارت إليه (سلوى) فى بطء، قائلة فى سخرية عجيبة، بدت مستفزة للغاية، وهى تنطقها بذلك الصوت المعدنى الجاف:

- رائعة هى فكرة استخدام الأقارب والأحباب هذه.. من الواضح أنها تضمن حياتكم إلى حد كبير.

التقط (نور) أسطوانة صغيرة من جيب سترته، قائلاً فى صرامة:

- لا تعتمد على هذا كثيرًا أيها الوغد.

سألته في سخرية ، لها نفس الوقع المخيف :

ـ ما هذا بالضبط ؟! مبيد حشرى .

وثب (نور) نحوها بغتة ، وهو يهتف :

ـ بل مبيد عقلى .

قالها ، وهو يضغط قمة الأسطوانة في قوة ، فانبعث رزاز قوى ، من ثقب فيها ، ليغمر وجه (سلوى) ، التي استقبلت هذا بجمود عجيب ، قبل أن تقول في حذر زائد :

ـ ما الذي يعنيه هذا بالضبط ؟!

أعاد (نور) الأسطوانة إلى جيبه ، قائلاً في صرامة :

ـ سترين .

نقل رجال الأمن والعلماء أبصارهم في حيرة ، بين (نور) و(سلوى) ، وقد أدهشهم أن يخاطبها بصيغة المؤنث ، وأدهشهم أكثر ذلك الصوت المعدني الجاف ،

الذي يخرج من بين شفتيها ، غير متناسب أبدًا مع هيئتها الرقيقة ، وهي تقول :

ـ آه .. الآن فهمت ... إنه مخدِّر قوى .

هزّ (نور) كتفيه ، قائلاً :

ـ وسريع المفعول أيضًا .

صمتت بضع لحظات ، وهي تتطلّع إليه ، ثم لم تلبث عيناها أن تألّقتا ، على نحو مخيف ، وهي تقول ، بنفس الصوت الرهيب :

ـ من الجيد أنك قد استخدمت هذا الشيء .

ثم مالت إلى الأمام ، مضيفة :

ـ فهو اختبار جيّد لقدراتي .

قالتها ، ثم انقضّت فجأة على (نور) ، وحملته بذراعيها النحيلين ، كما لو أنه قد فقد وزنه كاملاً ، ثم ألقته نحو الجدار في عنف ، صائحة :

ـ التي تفوق سلاحك هذا ألف مرة .

كانت الضربة قوية عنيفة ، على نحو مؤلم للغاية ، إلا أن ما أدهش (نور) حقًا ، هو أن المادة المخدرة ، التي غمر بها وجه زوجته ، شديدة المفعول ، قوية التأثير بالفعل ..

بل إنها تعتبر أحد الأسلحة السرية الفعّالة ، للمخابرات العلمية المصرية ..

ووفقًا للدراسات ، يفترض فيها أن تُفقد الخصم وعيه ، خلال عشرين ثانية على أقصى تقدير ..

والعجيب أنها لم تفعل هذا مع (سلوى) ..

أو بمعنى أدق ، مع عقلها ، الذي يسيطر عليه ذلك العدو المجهول ..

ومع انقضاض (سلوى) على (نور) ، رفع رجال الأمن أسلحتهم نحوها مرة أخرى ، ولكن (نشوى) صاحت ، وهي تنهض في ذعر :

ـ لا .. لا تطلقوا النار .

نقل رجال الأمن بصرهم في توتر وتردّد ، بينها وبين (سلوى) ، حتى هبّ (نور) واقفًا بدوره ، وهو يقول في صرامة :

ـ نعم .. لا تطلقوا النار .

هتف رئيس الأمن معترضًا :

ـ ولكن يا سيادة المقدّم ...

قاطعه (نور) بصرخة آمرة هادرة :

ـ أطع الأمر .

ابتسمت (سلوى) في سخرية ، عندما تردّد الجنود لحظة ، ثم خفضوا أسلحتهم بالفعل ، وبدا صوتها رهيبًا ، وهي تقول :

ـ جميل منك أن أمرتهم بهذا .

ثم انقضت عليه مرة أخرى ، ودفعته أمامها بقوة مدهشة ، حتى اصطدم بالجدار ثانية ، وهي تضيف :

ـ هذا سيمنحني اطمئنانًا أكثر .

خفق قلب (نشوى) في ارتياع ومرارة، عندما رأت علامات الألم العنيف، على وجه والدها، ووالدتها تجذبه إليها مرة أخرى؛ لتلقيه أرضًا، متابعة:

- من الواضح أنك لم تفهم مدى القوة، التي يمكن أن يطلقها العقل.

تراجعت (نشوى)، وهي تدير عينيها في الحجرة، وكأنها تبحث عن سلاح ما، قبل أن ينعقد حاجباها في حزم، مغمغمة:

- إنها موجات مخية .. أليس كذلك ؟!

ثم اندفعت نحو جهاز الكمبيوتر الصغير، الخاص بها، في نفس الوقت الذي نهض فيه (نور) في صعوبة، قائلاً:

- ربما أنا هنا لأفهم.

ابتسمت في سخرية، قائلة، بذلك الصوت الرهيب:

- وهل تعتقد أن عقلك قادر على هذا ؟!

حاول تفادي وثبتها التالية، التي ختمت بها سؤالها، إلا أنها قبضت على عنقه هذه المرة، ودفعته مرة أخرى إلى الجدار، وتألقت عيناها بشدة، وهي تميل نحوه، حتى لفحت أنفاسها وجهه، متابعة:

- عقلك المحدود لايمكنه أن يتصور قط قدرات عقلي المدهشة.

تطلع إلى عينيها مباشرة، قائلاً في صرامة:

- هل تراهنين ؟!

أطلقت ضحكة ساخرة رنانة، على مسافة سنتيمترات من أذنيه، حتى خيل إليه أنها قد اخترقت عقله ذاته، قبل أن تقول في سخرية:

- على ماذا ؟! أعلى المدة التي سيستغرقها عنقك الهش هذا، قبل أن تعتصره أصابعي القوية ؟

وضغطت أصابعها عنقه بالفعل ، وهى تضيف ، بلهجة آلية ، حملت كل وحشية الدنيا :

ـ قل : وداعًا للحياة أيها المتحذلق .

وهوى قلب (لشوى) بين قدميها ..

فبالنسبة لها بالذات ، كان المشهد رهيبًا ..

إلى آخر حدود العقل .

* * *



٣ـ الرهبـان ..

على الرغم من الجليد المنتشر ، على قمم جبال (التبت) ، التى تمتد إلى مالا نهاية ، وفى درجات البرودة القارسة ، التى انخفضت عن الصفر بكثير ، تحرك ثلاثة من الرهبان فى هدوء عجيب ، وهم يتسلقون الجبال ، متجهين نحو معبد بوذى قديم ، بدا أشبه بلوحة ساكنة جامدة ، أكثر برودة مما يحيط بها من ثلوج ، مع الصمت الرهيب المخيّم عليه ، والذى يخلو تمامًا من أى أثر للحياة ، وحتى من خيط الدخان ، الذى كان يمنحه لمحة من الدفء ، وسط كل هذه البرودة ، وهو يتصاعد طوال الوقت ، من مدفأته الحجرية العريقة العتيقة ..

ودون شكوى أو توقُّف ، واصل الرهبان البوذيون الثلاثة تسلُّقهم ، حتى بلغوا المعبد ، فتوقَّفوا بضع لحظات ، وهم يتطلَّعون إليه فى صمت ، ووجوههم

النحيلة الجافة ، تشترك مع رءوسهم المستديرة الصلعاء ، لتمنحهم مظهراً عجيباً ، وخاصة مع العيون الضيقة ، والنظرات التى يبدو وكأنها تتجاوز ما أمامها ، إلى عالم آخر ، وبعد آخر ، خلف حدود إدراكنا الواعى ..

وبعد لحظات الصمت هذه ، تقدم الثلاثة فى آن واحد نحو المعبد ، وعبروا بوابته الكبيرة ، ذات الأعمدة الرخامية ، قبل أن يقطعوا ساحته الواسعة ، فى اتجاه جثة الراهب الأصلع النحيل ، التى غطتها طبقة رقيقة من الجليد ، حفظتها من التلف ، ومنعت تطوراتها الرمية الطبيعية ، وهى ملقاة أمام المقعد الوحيد فى المكان ..

لم يكن أحدهم يتبادل حرفاً واحداً مع الآخرين ، وعلى الرغم من هذا ، كان من الواضح أنهم يفهمون جيداً ما يدور فى عقول بعضهم البعض ، وأن حديثاً صامتاً يتم بين عيونهم ، وعقولهم ، ومشاعرهم ..

ولوقت طويل ، ربما يتجاوز الساعة ، ظلوا يحيطون بجثة الراهب الأصلع ، قبل أن يلتفت اثنان منهم إلى الثالث ، الذى نقل بصره بينهما فى صمت ، ثم عاد يتطلع إلى الجثة لبعض الوقت ، قبل أن يشير إليها ، ثم يدور بسبابته إلى بقعة خارج المعبد القديم ..

نفس البقعة التى اعتاد الراهب الصريع الجلوس عندها ، فى أثناء ممارسته لرياضته الروحية ، التى لم تنقطع يوماً واحداً ، طوال ما يزيد على نصف القرن ..

وفى صمت شديد ، حمل الثلاثة جثة زميلهم ، واتجهوا بها إلى تلك البقعة ، ثم وضعوها فى حفرة واسعة هناك ، ووضعوا الجليد فوقها ، حتى اختفت تماماً ..

وبعدها ، عادوا إلى وقفتهم الصامتة ..

وفى هذه المرة ، وكأنما لايعنى الزمن شيئاً بالنسبة لهم ، ظلوا جامدين فى أماكنهم لثلاث ساعات كاملة ..

ثم رفع الاثنان عيونهما إلى الثالث ..

ونقل هو بصره بينهما ..

وفى هدوء صامت ، عاد الاثنان إلى داخل المعبد ، وجلسا أرضًا ، على جانبي المقعد الوحيد ، فى حين تحرك الثالث فى عكس اتجاههما ، على نحو يوحى بأنه فى سبيله إلى أداء مهمة ما ..

ودون أن يلتفت خلفه لحظة واحدة ، راح الراهب الثالث يسير وسط الثلوج ..

ويسير ..

ويسير ..

وسرعان ما ابتلعه الظلام ، واختفى وسط الثلوج الكثيفة ، المحيطة بكل شىء ..

وهنا .. هنا فقط ، وعلى الرغم من أنهما لم يتابعاه ، أغلق الآخران عيونهما فى هدوء ، وتجمدا فى مكانيهما ، وانطلقت عقولهما بعيدًا ..

بعيدًا جدًا ..

جدًا ..

جدًا ..

* * *

كان التوقيت الدقيق هو أخطر ما فى تلك الخطة الجريئة ، التى وضعها (أكرم) ، قبل أن يطلق رصاصات مسدسه نحو تلك الممرضة المسكينة ، التى سيطر الخصم المجهول على عقلها تمامًا ، وجندها دون أن تدرى ، للقضاء على (مشيرة) ، ومحو طرف الخيط الوحيد ، الذى يمكن أن يوصلهم إليه ..

ففى لحظة واحدة ، ضغط زناد مسدسه ، مصوبًا إياه نحو جبهتها ، ثم وثب أرضًا ، ودار حول نفسه ، وأطلق رصاصات نحو أقرب رجال أمن المستشفى العسكرى إليه ..

مبادرته المدهشة هذه جعلت نيرانهم تنطلق فوق رأسه ، وتخترق جسد الممرضة ، بلا تحديد أو هوادة ..

وفى الوقت ذاته ، أطاحت رصاصاته بمسدسات ثلاثة منهم ، قبل أن يصيح فى صرامة :

ـ لا أريد أن أشتبك معكم .. أبلغوا القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ، وستدركون أننى أقوم بمهمة رسمية ، وخطيرة للغاية .

ما فعله ، بتلك المهارة المدهشة ، امتزج بكلماته الصارمة ، التي تضاعف تأثيرها ألف مرة ، عندما نهض ، ليخفض فوهة مسدسه في بطء ، قائلاً في حزم :

- إننا فريق واحد ، ولاينبغي أن نتقاتل ، على حساب مصلحة (مصر) وأمنها ..

وانعقد حاجباه بشدة ، مع إضافته الصارمة :

- بل أمن العالم كله .

عبارته الأخيرة هزتهم من الأعماق ، وجعلتهم يتبادلون نظرة متوترة ، في حين هز الطبيب رأسه في عصبية ، قائلاً :

- هل أقنعتكم كلماته هذه ؟!! ياللسخافة ! الرجل ارتكب جريمة قتل أمام أعينكم ، ولابد من إلقاء القبض عليه .

هتف (أكرم) في حدة :

- إنك تجهل كل شيء .. هذه الممرضة لم تكن في

وعيها .. بعضهم كان يسيطر على عقلها ، ويدفعها لقتل زوجتي كما رأيتم .

صاح الطبيب في غضب شديد :

- كل ما رأيناه هو ممرضة متميزة ، تحاول القيام بواجبها ، وإعطاء مريضتها الدواء المناسب لحالتها ، ثم رأيناك تهددها بمسدسك ، دون أن تسيء إليك ، حتى أطلقت النار على رأسها ، دون شفقة أو رحمة .

ثم راح يصرخ :

- إنك قاتل .. قاتل .. قاتل .

صاح به (أكرم) :

- ولماذا لم تترك هي هذا ؟!

حدق الطبيب في وجهه ، بمزيج من الدهشة والاستنكار ، في حدة :

- ماذا تعني أيها القاتل ؟!

أجابه فى سرعة، وغضب لايقل عن غضبه وثورته :

- أعنى لماذا بدت هادئة ساكنة، على الرغم من اقتحامى الحجرة، وتصويبى مسدسى إليها ؟! أيبدو لك هذا رد فعل طبيعيًا، لشخص يمتلك ناصية عقله وزمام أموره، ثم أنها بلادة غير منطقية، لم تتميز بها ممرضتكم المتميزة هذه ؟!

اتسعت عينا الطبيب، فى شىء من الارتياع، وانطلق عقله يتذكر المشهد كله، و ...

« أحسنت يا هذا .. »

انطلق الصوت الآلى الجاف فجأة، ممتزجًا بطلقة ليزر، توهجت فى فراغ الحجرة، قبل أن تخترق تلك المسافة، بين كتف (أكرم) وعنقه ..

ومع الإصابة المفاجئة، تراجع جسد (أكرم)، وارتطم بالنافذة خلفه، والدماء تتفجر من إصابته، وهو يحدق فى وجه رئيس فريق أمن المستشفى

العسكرى، الذى تجمدت نظراته، وهو يصوب مسدسه مرة أخرى إلى (أكرم)، قائلاً بذلك الصوت، الذى أدهش الجميع :

- لابد أنك تدرك الآن، أن قتل الممرضة لم يكف لإيقافى.

اتسعت عينا (أكرم)، وهو يهتف ذاهلاً :

- أنت.

مع هتافه، انطلقت طلقة ليزرية أخرى، لتصيب صدر (أكرم)، وتدفعه بعنف أكثر نحو النافذة، فهتف الطبيب مستنكرًا :

- ما الذى تفعله أيها الـ ...

قبل أن يتمم عبارته، استدار إليه قائد الأمن، وأطلق نحوه طلقة ليزرية مباشرة، اخترقت رأسه، فاتسعت عيناه عن آخرهما، وضرب الهواء بذراعيه لحظة، ثم لم يلبث أن سقط جثة هامدة، فصاح (أكرم) :

- أيها القاتل الحقير.

ثم التفت إلى رجال الأمن الآخرين ، صارخًا :

ـ ماذا تنتظرون ؟! أوقفوه .

اتسعت عيون الرجال ، وهم يتراجعون في توتر بالغ ، وأسلحتهم مشهورة في أيديهم ، وقد أصابهم ارتباك عنيف ، مع رؤية ما حدث أمام أعينهم ، بين رئيسهم ورجل المخابرات العلمية ، وطبيب المستشفى ..

وعلى الرغم من عددهم ، لم يستطع أحدهم اتخاذ أي قرار حاسم ، مما جعل رئيسهم يلتفت إلى (أكرم) ، قائلاً في سخرية شديدة ، بنفس الصوت المخيف :

ـ يوقفونني أنا ؟! عجبًا ! إنني قائدهم يا رجل .. هل تتوقع من أي جنود قتل قائدهم ، أو التصدي له ، بأوامر أي كائن كان ؟!

ترنح (أكرم) ، مع الدماء التي تنزف منه بغزارة ، والتي تسيل من ذلك الجرح ، بين كتفه وعنقه ، وهتف في حدة وألم :

ـ لقد قتلت رجلاً أمام أعينهم .

هزّ الرجل كتفيه ، قائلاً بنفس السخرية :

ـ يالك من رجل مخابرات ! هل نسيت السبب المثالي ، لكل تجاوز في الوجود يا رجل .

وقسا صوته مع التماعة عينيه ، وهو يضيف :

ـ لقد فعلت هذا لدواعي الأمن .

احتقن وجه (أكرم) ، وهو يندفع نحوه ، هاتفًا :

ـ أيها الـ ...

أخرسه الرجل بطلقة ليزرية ثالثة ، أصابت صدره كسابقتيها ، ودفعته إلى الخلف بمنتهى العنف ، ليرتطم بالنافذة ، ويحطمها هذه المرة ..

ويهوي ..

هوى جسده من الطابق الثالث ، ليرتطم بنباتات الحديقة ، ثم يستقر ساكنًا بينها ..

ومرة أخرى ، التمعت عينا الرجل ، وهو يقول بصوته المعدني الآلي المخيف :

ـ خسرت يا رجل المخابرات العلمية المصري .

ثم أدار فوهة مسدسه الليزرى فى هدوء ، نحو (مشيرة) الفاقدة الوعى ، و ...

وتوهّجت الحجرة كلها بخيوط الليزر ..

القاتلة ..

* * *

من المؤكّد أن عنق (نور) لم يكن ليحتمل ضغط تلك اليد القوية ، أكثر من دقيقة واحدة على الأكثر ..

هذا لو أنه قوى بما ينبغى ..

ثم إنه كان من المستحيل أن ترحمه زوجته ..

من المستحيل تمامًا ..

لقد سيطر خصمه على عقلها تمامًا ، وحجب تفكيرها وحسن إدراكها ، وجعلها مجرّد أداة لتنفيذ أهدافه ونواياه ..

ومن الواضح أنه قد قرّر القضاء على الفريق كله ..

وبمنتهى العنف ..

وبقسوة مذهلة ، وعينين خلتا من المشاعر والحياة ، راحت أصابع (سلوى) تنغرز فى عنق (نور) أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وشعر رجل المخابرات العلمية بالألم ، وأنفاسه تتوقّف ، والدنيا تظلم من حوله ، و ...

« لابد أن نطلق النار .. »

هتف أحد رجال الأمن بهذا ، وهو يرفع فوهة مدفعه الليزرى نحو (سلوى) ، فصرخت (نشوى) :

ـ لا .. لا تفعل .

هتف بها آخر فى عصبية :

ـ إنها تقتل سيادة المقدّم (نور) .

قالت بمنتهى التوتر ، وأصابعها توصل جهاز الكمبيوتر الصغير بمسماع الجهاز المحطّم :

ـ دعنا نتعشّم ألا تنجح فى هذا .



وبقسوة مذهلة ، وعينين خلتا من المشاعر والحياة ، راحت أصابع (سلوى) تنغرز في عنق (نور) أكثر ..

ثم ضغطت أزرار جهازها في سرعة مدهشة ، لاتتذكر أنها بلغتها يومًا ما ..

سرعة دفعها إليها ذلك الشعور الرهيب ، الذي لم تشعر به من قبل قط ..

أمها تقتل أباها أمام عينيها ..

بل أمام عيون الجميع ..

والموقف يوحي بأنه لايوجد خيار ثالث ..

إما أمها ..

أو أبوها ..

وياله من خيار بشع !

وبكل عصبية الدنيا ، هتف أحد رجال الأمن ، وهو يضغط زر الاستعداد ، في بندقيته الليزرية بالفعل :

ـ لن يمكنني احتمال هذا قط .

صرخت (نشوى) ، وهي تضغط زرًا أخيرًا :

ـ انتظر .

تصوَّر الكل أن شيئًا ما سيحدث ، فور ضغطة الزر ..

إلا أن شيئًا لم يفصح عن نفسه قط .

وكل شيء ظلَّ على ما هو عليه ..

(نور) يختنق ، ويصدر من حلقه المعتصر صوتًا مؤلمًا ، وحنجرته تكاد تتحطم ، تحت أصابع (سلوى) القوية ، التي يخلو وجهها من أي أثر للحياة أو الانفعال ، و ...

ولكن فجأة ، انتفض جسدها كله ..

ورفعت كفيها بغتة ودفعة واحدة ، عن عنق (نور) ..

وتراجعت خطوتين إلى الخلف ، وهي تحدق فيه بذهول ، مرددة :

ـ رباه ! (نور) ! ماذا كنت أفعل ؟! ماذا كنت أفعل ؟!

ثم انهارت فجأة فاقدة الوعي ..

تمامًا مثلما أصاب (مشيرة) ، في موقف مماثل ..

وكما فعل (أكرم) عندئذ ، قفز (نور) يلتقط زوجته بين ذراعيه ، على الرغم من أن أنفاسه لم تكن قد انتظمت بعد ، ولم تستوعب عيناه كامل الضوء .. وبكل انفعاله ، هتف :

يا إلهي ! كيف حدث هذا ؟! كيف حدث ؟!

والتفت إلى (نشوى) ، مواصلاً في لهفة :

ـ ماذا فعلت بالله عليك ؟!

حدقت (نشوى) فيهما لحظة ، ثم انفجرت باكية فجأة ، وكأنما تفرغ كل انفعالات اللحظات السابقة ، فأرقد (نور) زوجته في رفق ، على مائدة بحث كبيرة ، وأسرع إليها ، يحتويها بين ذراعيه ، ويربت عليها في حنان ، مغمغمًا في إشفاق :

ـ لقد انتهى الأمر يا عزيزتي .. انتهى بفضلك ، بعد الله (سبحانه وتعالى) .

هتف بها رئيس فريق العلماء، بعد أن عاد لاهثًا فى انفعال:

- ولكن ماذا فعلت ؟! كيف أوقفت هذا ؟!

أجابته من بين دموعها الغزيرة، وهى تدفن وجهها فى صدر أبيها:

- إنها موجات مخية.

سألها الرجل فى حيرة:

- ما الذى يعنيه هذا ؟!

تنحنحت لحظة، قبل أن تجيب:

- أمى قالت: إن أية موجات، مادام من الممكن التقاطها، فمن الممكن تتبعها أيضًا، ولقد أثبتت هذا، عندما كادت تنجح فى تحديد موقع ذلك الخصم المجهول.

بدت حيرة الرجل أكبر، وهو يقول:

- ثم ماذا ؟!

قالت فى خفوت:

- مادامت موجات يمكن استقبالها وتتبعها، فمن الممكن اعتراضها، وتشتيتها، وإفسادها أيضًا.

بدا الانبهار على الرجل، وهو يسألها:

- أهذا ما فعلته ؟!

أومأت برأسها إيجابًا، وقالت فى بساطة، وهى تجفف دموعها:

- كنت أحتفظ بنسخة من الموجات المخية، فى جهاز الكمبيوتر الخاص بى، فاستخدمتها، مع مسماع جهازكم المحطم، لبث موجة مضادة فى المكان.

هتف أحد رجال الأمن فى انبهار أكثر:

- ولكننا لم نسمع شيئًا.

أجابته فى بساطة مماثلة:

- الموجات متناهية القصر لايمكن سماعها(*)

(*) حقيقة، إذ إن الأذن البشرية لا يمكنها سماع سوى الأصوات ذات التردد ما بين (٢٠)، و(٢٠٠٠٠) ذبذبة فى الثانية فحسب.

ولم يسمع (نور) تلك الجزء الأخير من الحوار؛
فحديثها هذا بدا له مدهشًا بحق ..

فالواقع أن ما صنعته (نشوى) ليس مجرد وسيلة إنقاذ سريعة ..

لقد صنعت سلاحًا ..

السلاح الأمثل، لمثل هذه الحرب ..

سلاح العقول ..

للعقول ..

* * *

في آلية عجيبة، ودون أدنى مشاعر، أدار قائد أمن المستشفى العسكري فوهة مسدسه الليزري، نحو رأس (مشيرة) ..

تلك القوى الرهيبة، المسيطرة على عقله، كانت تدفعه دفعًا إلى نسف رأسها، ومحو الدليل الذي يحتفظ به عقلها، دون أدنى شفقة أو رحمة ..

ولقد صوّب الرجل فوهة مسدسه في إحكام، و ...

ولكن مساعده أدرك مدى خطورة الأمر ..

وأدرك أيضًا أن رئيسه ليس بكامل قواه العقلية، لسبب لم يفهمه ..

وأن قتله للطبيب، هو أكبر دليل على هذا ..

وكان من المستحيل، وفقًا للقواعد الأمنية الرسمية، أن يسمح باستمرار هذه المهزلة البشعة ..

لذا فقد اتخذ قراره ..

وأطلق الأشعة ..

أطلقها في البداية، ليطيح بمسدس رئيسه، الذي استدار إليه بحركة حادة، قائلاً بذلك الصوت الآلي المخيف:

ـ ماذا فعلت أيها التعس ؟!

صاح المساعد، وهو يصوّب مسدسه الليزري إليه، في انفعال شديد:

ـ سيدي القائد، وفقًا للقواعد واللوائح العسكرية،

ونظرًا لما تبديه من عدم اتزان عقلى، أدى إلى تصرفات مخزية، عسكريًا وآدميًا، يحق لى أن أعزلك من منصب القيادة، وأن ...

بتر عبارته دفعة واحدة، عندما شعر بغتة وكأن خيطًا من النار قد اخترق عقله، على نحو مؤلم رهيب ..

وخيل إليه أن مخه يذوب داخل جمجمته ..

ويذوب ..

ويذوب ..

وكمحاولة أخيرة للمقاومة، صرخ المساعد :

ـ أطلقوا النيران ..

ومع ما رأوه من أمور عنيفة مذهلة، لم يتردد الرجال لحظة واحدة ..

وأطلقوا النيران ..

أطلقوا خيوط أشعة الليزر، نحو ساقى قائدهم، كما تقضى التعليمات الصارمة فى هذا الشأن ..

واخترقت الأشعة ساقى الرجل ..

وتخاذل جسده كله، والدماء تتفجر من مواضع إصابته، قبل أن يهوى على ركبتيه أرضًا ..

وهنا، ووفقًا للقواعد أيضًا، توقف الرجال عن إطلاق النار ..

بل وتحرك بعضهم فى سرعة، لإلقاء القبض على القائد، وضمان سرعة إسعافه، والإبقاء على حياته ..

وهنا، كانت المفاجأة مذهلة بحق ..

مفاجأة مزدوجة رهيبة، ارتج لها كيانهم حتى النخاع ..

فقبل أن يصل الرجال إلى قائدهم المصاب، اخترقت رءوسهم خيوط أشعة ليزر قاتلة، أسقطتهم جثثًا هامدة، على بعد سنتيمترات من قائدهم، وعلى مسافة متر واحد من الفراش الصغير، الذى ترقد عليه (مشيرة)، فاقدة الوعى ..

واستدار الباقون فى ذعر متحفز ، إلى مصدر الأشعة ، قبل أن تتسع عيونهم فى ذهول تام ..

لقد كان ذلك المساعد ، الذى جمدت عيناه ، وبدا أشبه بشخص آلى ، وهو يدير فوهة سلاحه نحوهم ، وكأنه مصرّ على مواصلة هذه المذبحة الرهيبة ..

وفى اللحظة نفسها ، وعلى الرغم من ساقيه الممزقتين ، نهض قائدهم المغيّب العقل ، وهو يلتقط سلاح أحد الصرعى الثلاثة ، ويصوّبه نحوهم بدوره ..

وهنا ، لم يعد هناك مجال للتردد ..

أو حتى التفكير ..

وتوهجت خيوط الأشعة القاتلة داخل حجرة (مشيرة) ..

الرجال أطلقوا الأشعة ، دفاعًا عن أنفسهم ..

والقائد ومساعده أطلقا الأشعة ، لإزاحتهم عن الطريق ..

وتفجرت الدماء من الجانبين ..

أشعة الرجال نسفت رأس القائد ، وسحقت صدره وذراعه ، واخترقت بطن المساعد وساقيه ، فى حين نجحت أشعة هذا الأخير فى حصد أربعة منهم ، والإطاحة بمسدس الأخير ، الذى تراجع فى ذعر ، هاتفًا :

ـ سيدى .. استيقظ .. ما تفعله غير طبيعى .. إنك تقتل رجالك .. تقتل رفاق السلاح .

بدا المساعد جامدًا شاردًا ، وهو يصوّب سلاحه نحو الرجل ، قائلاً بذلك الصوت الآلى المخيف ، الذى أصبح سمة مشتركة ، لكل من يسقط تحت سيطرة ذلك العقل الشرير الجبار :

ـ إنك تعوق طريقى .

ومع آخر حروف كلماته ، ضغط على زناد مسدسه الليزرى ..

وانطلقت خيوط الأشعة ..

انطلقت تنسف رأس رجل الأمن الأخير ، الذى اتسعت عيناه عن آخرهما ، وتفجرت دماؤه لتغمر الحائط من خلفه ، مع أجزاء من مخه المتهتك ، قبل أن يسقط إلى جانب رفاقه ، وسط بحر من الدم ، الناشئ من أبشع مذبحة شهدتها (مصر) كلها ..

وفى جمود تام ، وعلى الرغم من بشاعة الموقف من حوله ، استدار المساعد ، مصوبًا مسدسه الليزرى إلى رأس (مشيرة) ، قائلاً :

- لا ينبغى أن يعوق أى شىء طريقى .

« هذا لن يشملنى .. »

انطلق الهتاف فى غضب صارم ، قبل أن ينقض (أكرم) بمنتهى العنف ، على مساعد الأمن ، مستطردًا :

- هل يدهشك أننى نجوت من الموت أيها الوغد ؟!

سقط الاثنان أرضًا ، وسط بركة الدم ، الذى تناثر على جسديهما ووجهيهما ، و(أكرم) يتابع فى حدة :

- كان ينبغى أن تطلق أشعتك كلها على رأسى ، عندما كنت تسيطر على عقل القائد .

يدفعه المساعد عنه بقوة خرافية ، وهو يقول :

- سأتذكر هذا ، فى المرة القادمة .

كانت الدفعة من القوة ، حتى إنها أطاحت بجسد (أكرم) ، ليسقط على بعد مترين من المساعد ، فوق كومة من جثث رجال الأمن ، ولكنه أسرع يقف على قدميه ، وهو يقول فى غضب شديد :

- لن تكون هناك مرة قادمة أيها الوغد .

نهض المساعد بدوره ، وصوب إليه مسدسه الليزرى ، وهو يقول فى سخرية ، جعلها ذلك الصوت الآلى مقيتة مستفزة :

- لى أم لك ؟!

مال (أكرم) جانبًا ، ووثب نحوه ، صائحًا :

- دعنا نبحث عن الجواب أيها الوغد .

انطلق خيط من أشعة الليزر ، متجاوزًا رأس (أكرم) بسنتيمتر واحد ، قبل أن ينقض هذا الأخير

على المساعد ، وهوى على أنفه بثلاث لكمات متتالية سريعة ، صائحًا :

ـ قتال الشوارع علمنى فى حداثتى ، أن الأنف نقطة ضعف قوية .

تحطَّم أنف المساعد فى عنف ، وتفجَّرت منه الدماء ، لتغمر وجهه كله .. إلا أن هذا لم يوقفه ..

بل ولم يحرِّك ساكنًا فيه ، وهو يلكم (أكرم) فى صدره ، لكمة قوية عنيفة ، قائلاً :

ـ ربما لأنك لم تقاتل سوى بشر ضعفاء .

أطاحت اللكمة بجسد (أكرم) فى عنف ، ليرتطم بالجدار المقابل ، قبل أن يسقط أرضًا ..

كانت الآلام رهيبة ..

وفارق القوة مذهلاً ..

ثم إن (أكرم) لم يكن مسلحًا ، على عكس خصمه ..

ومع سقوطه أرضًا ، بدا له أن الأمل الوحيد ، هو أن يلتقط أحد أسلحة رجال الأمن ، الذين تناثرت جثثهم فى المكان ..

لذا ، فقد استنفر (أكرم) كل ما تبقَّى من قواه ، ودفع جسده نحو أقرب سلاح إليه ، و ...

ولكن طلقة ليزر جديدة اخترقت يده ، قبل أن يبلغ السلاح ..

وطلقة ثانية ، أطاحت بالسلاح نفسه ..

ومع صرخة الألم ، التى انطلقت من حلق (أكرم) ، ارتفع ذلك الصوت الآلى الجاف ، يقول فى صرامة :

ـ كان يمكننى أن أطلق النار على رأسك مباشرة .

رفع (أكرم) عينيه إلى المساعد ، الذى يصوِّب مسدسه إلى رأسه ، مستطردًا :

ـ ولكننى أردتك أن تشهد هزيمتك أولاً ؛ حتى تتعلَّم آخر درس فى حياتك التافهة .

وتألقت عيناه على نحو رهيب ، وهو يضيف :

ـ لا أحد يقف فى طريق انتقامى أبدًا .

وهنا .. هنا فقط ، أدرك (أكرم) أنها نهايته ..

نهايته بلا ريب .

* * *



٤ـ عقل .. وعقل ..

ظلام دامس ، ذلك الذي راحت (سلوى) تسبح فيه ، في سرعة عجيبة ، لم تشعر بمثلها من قبل قط ..

ظلام دون لمحة واحدة من الضوء ، حتى إنها لم تكن تدرك ما الذي تسبح فيه بالضبط !

ثم راودتها فجأة فكرة مخيفة ..

تُرى أما زالت على قيد الحياة ، أم أنها تسبح الآن في عالم الموتى ؟!

صحيح أن أحداً لم يعد قط ، من عالم الموتى ، ليروى لنا تجربته الشخصية ، إلا أن الظلام الدامس ، وسرعة الانطلاق المدهشة ، جعلاها تتصور أن هذا هو الموت ..

والعجيب أن فكرة الموت نفسها لم تفزعها أبداً ..

كل ما شعرت به هو الحزن الشديد ، على فراق زوجها وابنتها ..

وقبل أن يتوغل عقلها في الفكرة ، ظهر بصيص ضوء من بعيد ..

ضوء بدا خافتًا ، ثم تعاظم في سرعة ، ليبدد الظلام ، ويغمر كل شيء من حولها .. ومع الضوء المبهر ، أغمضت عينيها في قوة ، وهتفت :

- رباه ! أين أنا ؟!

أتاها صوت هادئ ، يقول :

- اطمئني يا (سلوى) .. إنه أنا ؟!

فتحت عينيها عن آخرهما ، وهي تهتف في انفعال :

- (محمود) ؟!

كان يقف أمامها ، وسط فراغ لا نهائي ، وعلى شفتيه تلك الابتسامة الرقيقة الهادئة ، التي جعلتها تهتف في سعادة :

- (محمود) .. كم تسعدني رؤيتك .

أجابها في هدوء :

- لست ترينني حقًا يا (سلوى) ، ولكنني أتصل بعقلك مباشرة ، وخيالك هو الذي يكمل المشهد .

سألته في حيرة :

- ماذا تعني ؟!

أجاب في سرعة :

- لا وقت للشرح يا (سلوى) .. صدقيني .. لا وقت أبدًا لهذا ، فأنا أبذل جهدًا خرافيًا مؤلمًا ، للاتصال بكم بهذه الوسيلة .

ثم بدا جادًا مهمومًا ، وهو يتابع :

- إنكم تواجهون خطرًا رهيبًا يا (سلوى) .. أعظم خطر واجهتموه ، منذ بدء عملكم ، ولن يمكنكم أبدًا التصدي له ، بأية وسيلة معروفة .

سألته في لهفة :

- أي خطر تقصد يا (محمود) ؟! أهو ذلك المجهول ، الذي يسيطر على العقول ؟!

أجابها فى توتر :

بالضبط .. إنه ليس شخصًا عاديًا يا (سلوى) .. إنه شر رهيب .. شر لم يواجه العالم مثله من قبل .

ارتجف جسدها ، من الصورة التى رسمها خيالها ، وهى تسأله :

ـ أتعنى أننا لن نستطيع مواجهته أبدًا ؟!

هزّ رأسه ، مجيبًا فى أسف :

ـ كل وسائلكم وتكنولوجيتكم المتطورة ، لن يمكنها هزيمته ، أو حتى إيقافه .. ربما تستطيعون تحجيمه لبعض الوقت ، أو قطع طريق سيطرته لفترة ما ، ولكنكم لن تستطيعوا هزيمته أبدًا .

شملها الخوف ، وهى تسأله :

ـ ألا توجد أية وسيلة لهذا .

صمت لحظة ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ لاتوجد سوى وسيلة واحدة يا (سلوى) .

سألته بكل اللهفة :

ـ وما هى ؟!

لم تكد تطرح سؤالها ، حتى انسحب الضوء بغتة وابتعد عنها (محمود) فى سرعة ، فصاحت :

ـ ماذا يحدث ؟! ماذا يحدث يا (محمود) ؟!

رأت شفتاه تتحركان ، وكأنما يمنحها جواب سؤالها ..

إلا أنه كان يبتعد بسرعة ..

والضوء يخبو ..

ويخبو ..

ويخبو ..

وبكل هلعها ، صرخت :

ما الوسيلة يا (محمود) ؟! ما الوسيلة ؟!

تردّد السؤال فى ذهنها بصدى عجيب ، وامتزج

بصوت آخر ، لم يميّزه عقلها فى البداية ، ثم لم يلبث
أن تبيّن فيه صوت (نور) ، الذى يقول فى قلق :

ـ (سلوى) .. كل شىء انتهى ياحبيبتى .. استيقظى ..

فتحت عينيها فى دهشة ، وحدّقت فيه لحظة ، قبل
أن تهتف :

ـ (نور) ؟!

احتواها زوجها بين ذراعيه فى حنان ، وهو يقول :

ـ لقد نجوت منه يا عزيزتى .. كلنا نجونا منه .

تراجعت هاتفة :

ـ لا يا (نور) .. لا يوجد أى سبيل لهزيمته .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يسألها :

ـ ماذا تعنين ؟!

هتفت بصوت مرتجف :

ـ (محمود) أخبرنى بهذا يا (نور) .. أخبرنى أنه
لا يوجد أى سبيل معروف لهزيمته .

تطلّع إلى وجهها لحظة فى حيرة ، وراودته فكرة أن
تكون مجرّد هلاوس ما بعد الغيبوبة ، وهو يقول فى حذر :

ـ ولكننا ـ (نشوى) وأنا ـ وجدنا بالفعل سبيلاً لهذا
يا (سلوى) .

هتفت :

ـ ربما كانت وسيلة تكفى لتحجيمه مؤقتًا ، أو لحجب
سيطرته العقلية لزمن محدود ، إلا أنها لن تهزمه ..
لن تهزمه أبدًا يا (نور) .

ثم تفجّرت الدموع من عينيها ، وهى تضيف :

ـ (محمود) أخبرنى بهذا .

عاد يتطلّع إليها بنفس الحيرة ، قائلاً فى حذر أكثر :

ـ ولكن (نشوى) أخبرتنى أنكم لم تتمكّنوا من عقد
اتصال متكامل مع (محمود) .

تشبّثت به فجأة ، هاتفة :

ـ لقد زارنى فى غيبوبتى يا (نور) .

تراجع بحركة حادة ، قائلاً :

- فى غيبوبتك .

أجابته فى سرعة وانفعال :

- نعم .. تمامًا كما اتصل بك فى أحلامك ذات يوم .

انعقد حاجباه أكثر ، وهو يقول :

- تذكرين كيف كاد هذا يؤدى إلى كارثة يومًا(*) .

هتفت :

- (نور) .. صدقنى .

هبّ واقفًا ، وهو يقول فى حزم :

- صدقينى أنت يا (سلوى) .. (نشوى) وجدت بالفعل وسيلة لمنع ذلك الوغد ، من السيطرة على عقولنا ، ولولا هذا لما نجونا منه ، أنت وأنا ، وهذه الوسيلة ببساطة هى ..

(*) راجع قصة (وراء العقل) ... المغامرة رقم (١٢٩) .

قاطعته فى ذعر :

- لا .. لا تخبرنى يا (نور) .. قد يقرأ عقولنا ، وتتعرّض ابنتنا للخطر ؛ بسبب هذا!.

ابتسم ، قائلاً :

- اطمئنى يا (سلوى) .. بعدما توصّلت إليه (نشوى) ، أصبحت إدارة المخابرات العلمية كلها ، متضمنة إدارة الأبحاث أيضًا ، آمنة تمامًا من سيطرة ذلك الوغد العقلية .

وعاد يجلس إلى جوارها ، مستطردًا :

- فعندما شاهدتك (نشوى) ، وأنت واقعة تحت سيطرته ، وتكادين تعتصرين الحياة من عنقى ، قفزت الفكرة إلى ذهنها .

اتسعت عينا (سلوى) ، وهى تهتف فى ارتياع :

- يا إلهى ! هل فعلت هذا حقًا ؟!

ربّت على خدها ، قائلاً بابتسامة :

- لم تكونى فى وعيك يا عزيزتى .

سالت الدموع على عينيها فى صمت ، فاحتواها فى صدره مرة أخرى ، وهو يتابع :

ـ لقد استخدمت نظريتك ، التى تتعامل مع قدراته العقلية الفائقة ، باعتبارها مجرد موجات ، يمكن تعقبها ، والكشف عنها ، والتعامل معها بكل الوسائل المتاحة ، للتعامل مع أية موجات أخرى ، وطورت هذا بسرعة وعبقرية ، لتصنع موجات مضادة ، ما إن أطلقتها فى المكان ، حتى تلاشى أثر سيطرته العقلية فورًا .

هتفت بأنفاس مبهورة :

ـ (نشوى) فعلت هذا ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال بابتسامة فخر :

ـ كانت لمحة عبقرية بحق .

سألته فى لهفة :

ـ ولكنك قلت إنك وهى فعلتماها .. أليس كذلك ؟!

أجابها بنفس الابتسامة :

ـ بل قلت : هى وأنا يا عزيزتى ؛ فابنتنا (نشوى) ابتكرت الموجة المضادة ، متناهية القصر ، أما كل ما فعلته أنا ، فهو اقتراح بأن يتم بث هذه الموجة المضادة ، عبر أبراج وشبكات (أنباء الفيديو) ، إلى الأقمار الصناعية الإعلامية ، حتى يمكن تضخيمها رقميًا ، وإطلاقها فى كل أنحاء العالم .

تألقت عيناها ، وهى تهتف فى انبهار :

ـ وهكذا ينمحى تأثير سيطرته العقلية !

أجابها وقد اتسعت ابتسامته :

ـ بالضبط .

هتفت فى سعادة غامرة :

ـ إنها فكرة عبقرية يا (نور) .. عبقرية إلى أقصى حد .

ثم تراجع انفعالها فجأة ، لتضيف فى توتر :

ـ ولكن (محمود) قال : إنه لا توجد وسيلة لـ ...

قاطعها في حزم :

ـ لا أحد يمكن أن يجزم بأنك قد التقيت بـ (محمود) يا (سلوى) ، ولا بأن ما قاله يستحق الاهتمام أو الانتباه .

هتفت معترضة :

ـ ولكن يا (نور) ..

استوقفها ، قائلاً بنفس الحزم :

ـ لقد عثرنا على وسيلة إيقافه يا (سلوى) .

سألته في عصبية :

ـ وماذا عن هزيمته ؟!

نهض يشدّ قامته ، قائلاً :

إيقافه هو الخطوة الأولى فيها يا (سلوى) .

تراجعت ، متمتمة :

ـ ربما يا (نور) .. ربما ..

نطقتها بلسانها ، ولكن قلبها ظلّ يشعر بقلق لا حدود له ، أما عقلها ، فراح يردّد كلمات (محمود) المخيفة ..

« لا توجد أية وسيلة معروفة لهزيمته يا (سلوى) .. »

وفي أعماقها ، راح خوف مبهم ينمو ..

وينمو ..

وينمو ..

بلا حدود ..

* * *

صرخة قوية ، انطلقت من بين شفتي (أكرم) ، وهو يتوقع أن تنطلق أشعة الليزر القاتلة ، من فوهة مسدس مساعد قائد أمن المستشفى ، لتضيف اسمه إلى سجل ضحايا المذبحة الرهيبة ، وتريق دماءه ، فوق بحيرة الدم التي تسبح فيها الحجرة ..

صرخته كانت تحمل الغضب ..

كل الغضب ..



خفق قلب (أكرم) بمنتهى العنف ، وهو يتساءل في أعماقه
- ترى ماذا حدث ؟!

وتحمل أيضًا لوعته على ما يمكن أن يصيب زوجته ، بعد أن يذهب هو .. وبكل مشاعره وانفعالاته ، صرخ :

- أيها الوغد !

خُيِّل إليه أن يد الرجل قد ارتجفت ، وأن عينيه قد ارتجفتا فجأة ، وأطلت منهما نظرة مذعورة ، وهو يحدق فيه بذهول .

ثم فجأة ، عجزت ساقاه عن حمله ، فهوى وسط بركة الدم ، صائحًا في ارتياع :

- رباه ! ماذا حدث ؟! ماذا حدث ؟! ماذا أصاب الرفاق ؟! من فعل بهم هذا ؟

واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يتطلع إلى المسدس ، الذي يحمله بيده ، وغمغم :

- لا .. مستحيل ! مستحيل !

خفق قلب (أكرم) بمنتهى العنف ، وهو يتساءل في أعماقه : ترى ماذا حدث ؟!

هل استعاد الرجل وعيه بغتة ؟!

هل ؟!

وبكل حذر الدنيا ، وعلى الرغم من آلامه وإصاباته ، مد يده نحو المسدس الليزرى ، الذى يمسك به المساعد ، وهو يقول :

- اهدأ يا رجل .. إنك لم تكن تدرى ما الذى تفعله ؟!

تراجع الرجل مع مسدسه بحركة حادة ، صائحًا فى انهيار :

- إذن فأنا فعلته .

ثم لوّح بالمسدس فى ثورة ، صارخًا :

- أنا فعلت هذا الأمر البشع الرهيب ! أنا المسئول عن هذه المذبحة الوحشية ! يا إلهى ! يا إلهى !

كررّ (أكرم) ، هاتفًا :

- لم تكن تدرى ما تفعله .

صرخ الرجل :

- ولكننى فعلته .

وعاد يدير عينيه فى جثث رفاقه ، قبل أن يضيف فى انهيار :

- ولن يمكننى نسيان هذا أبدًا .. لن أغفر لنفسى ما حدث .. لن أغفر لنفسى أبدًا .

ثم رفع فوهة مسدسه إلى رأسه ، مستطردًا فى عصبية بالغة :

لن أغفر لنفسى .

صاح (أكرم) ، وهو يحاول الاندفاع نحوه :

- لا يا رجل .. لا ...

ولكن سبابة المساعد سبقته إلى زناد مسدسه ..

وانطلقت أشعة الليزر ..

وأطلق (أكرم) صرخة أخرى ، حملت انفعالاً بلا حدود ، عندما تناثرت دماء الرجل على وجهه

وثيابه ، قبل أن يسقط هذا الأخير جثة هامدة ، وسط بركة الدماء ، وجثث الأبرياء ..

وحدق (أكرم) فيما أمامه ، وقد انهارت عدة مشاعر قوية في أعماقه ..

لقد نجت زوجته (مشيرة) ..

ولكن الثمن كان غاليًا ..

وفادحًا ..

إلى أقصى حد ..

عدد كبير من الرجال لقى مصرعه ..

مذبحة رهيبة أعلنت وجودها ..

دماء بريئة طاهرة ، أريقت بلا هوادة ..

بلا شفقة ..

وبلا رحمة ..

ومرة أخرى ، صرخ (أكرم) بكل قوته :

ـ ألا تكفيك كل هذه الدماء أيها الوغد .

وبكل مرارة الدنيا ، عض شفتيه حتى أدماهما ، لتمتزج دماؤهما بتلك الدماء ، التي تسيل من جراحه ، ويشتركان معًا ، لإضافة قطرات جديدة ، إلى بحيرة الدم الرهيبة ، التي غمرت كل شيء ، وعقله يصرخ في أعماقه ..

متى ينتهي كل هذا ؟!

متى ؟!

متى ؟!

هذا هو السؤال ..

وهذه هي الصرخة ..

الحقيقية ..

* * *

« انتصار رائع يا (نور) .. »

نطق القائد الأعلى العبارة في ارتياح وتقدير ، وهو يربت على كتف (نور) ، الذي وقف أمامه ثابتًا مشدود

القائمة ، فهتف الدكتور (جلال) ، رئيس مركز الأبحاث العلمية فى حماسة :

- الفريق كله أبلى بلاءً حسنًا بحق ، وأوقف نهرًا من الدم ، كاد يغرق (مصر) كلها ، ويمتدّ إلى العالم بأكمله ، بعد أن أسقط عشرات الضحايا بلا رحمة ، فى ساعات معدودة .

ثم هزّ رأسه فى قوة ، متابعًا :

- لا يمكننى أن أتصوّر ما كان يمكن أن يحدث ، لو تواصل هذا العنف الوحشى ليوم آخر .

هتف القائد الأعلى :

- يفزعك مجرّد التفكير فى نتائج يوم آخر ، فما بالك بما كان يمكن أن يحدث ، لو انتصر هذا الشىء .

شدّ (نور) قامته أكثر ، وتنحنح فى توتر ، قبل أن يقول :

- معذرة يا سادة ، ولكننى لا أعتبر ما فعلناه انتصارًا .

تطلّع إليه القائد الأعلى فى دهشة ، فى حين قال الدكتور (جلال) ، فى حماسة جارفة شديدة :

- ولكنه كذلك بالفعل أيها المقدّم ، وبالنسبة لى ، أظن أن ...

قاطعه القائد الأعلى بإشارة حازمة من يده ، ليسأل (نور) ، فى اهتمام قلق :

- ولماذا لا تعتبره كذلك يا (نور) ؟!

أجابه فى حزم :

- لأننا مازلنا نتحدّث عن ذلك الشىء ، ونحاول أن نتخيّل ما كان يمكن أن يحدث ، ونتصوّر بشاعة انتصاره ، ونرسم فى أذهاننا حدودًا لقوته ، دون أن نتحدّث لحظة واحدة ، عن حقائق ملموسة ، يمكننا أن نقبض عليها بأصابعنا .

ثم عاد يشدّ قامته ، مضيفًا :

- ولا يمكننا أن نصف حالاً كهذا بالانتصار ياسيّدى .

تبادل القائد الأعلى نظرة متوتـرة مـع الدكتـور (جلال) ، قبل أن يقول هذا الأخير :

ـ ألا تعتقد أنك متأثر فى هذا بحديث زوجتك ، عن مقابلتها الوهمية ، مع زميلكم السابق (محمود) ، والتى لم يثبت حدوثها فعليًا قط ؟!

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يقول فى حزم :

ـ مطلقًا يا دكتور (جلال) .. إننى أتحدث من منطلق عقلانى بحت ؛ فمن الناحية الفعلية والعملية ، لسنا ندرى شيئًا حتى الآن ، عن هوية خصمنا أو قدراته ، أو حتى حدود إمكانياته العقلية الفائقة ؛ لأننا ، وبكل بساطة ، لم نواجهه أبدًا ، حتى لحظتنا هذه .. كل ما رأيناه ، وخبرناه ، وعرفناه ، هو قدرته على السيطرة على عقول الآخرين ، وهذا أيضًا ما رصده جهاز استقبال الموجات متناهية القصر .

قال الدكتور (جلال) فى توتر :

ـ ولكن موجات (تشنوى) المضادة أوقفت قدرته

هذه يا (نور) ، وما حدث لزوجتك ، فى مركز الأبحاث ، وما يتفق معه مما حدث لزميلكم (أكرم) ، فى المستشفى العسكرى ، يثبت نجاح هذا الأسلوب . فلماذا تشعر بالقلق إذن ؟!

بدا (نور) أكثر حزمًا ، وهو يجيب :

ـ لأن الرجل لديه قدرة على السيطرة على التكنولوجيا أيضًا يا سيدى ، وهذا واضح ، فى منع محادثته الهاتفية من تسجيل نفسها ، فى هاتف (شريف صابر) مرتين ، على الرغم من كفاءة الدائرة الرقمية فيه ، ودفعه آلات البث لعرض فيلم عالميًا ، بعد أن أوقفنا عملها تكنولوجيًا ، وكذلك فى إشعال الحرائق ، فى دوائر كمبيوتر السجلات الطبية ، ومنع إنذار الحريق ، وأجهزة الإطفاء الإليكترونية من العمل ، كمحاولة لقتل (رمزى) .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى صرامة :

ـ كل هذا يؤكد أن قدرات خصمنا تتجاوز الحدود التى نتصورها بكثير ، وأننا لانستطيع استنتاج خطواته

التالية ، التى ربمـا يجلس لإعدادها وتدبيرها الآن ؛ ليباغتنا بها فى جولة جديدة أكثر عنفا ، بعد أن نتراخى ونهدأ ، مع شعورنا الزائف بالانتصار .

كلماته الأخيرة بثت فى الرجلين خوفا مبهمًا ، جعل كلاهما يلوذ بالصمت ، قبل أن يقول القائد الأعلى فى حزم :

ـ لابد أن نحيط شـبكة البث الرئيسـية ، لجريدة (قباء الفيديو) ، بقوات حراسة قوية ، وإحكام سيطرتنا عليها تماما ، حتى يكتمل بناء أسلوب البث الخاص بنا ، فى إدارة الأبحاث العلمية ، وينبغى أن ..

قاطعه (نور) فى حزم :

ـ لست أظن هذا يكفى يا سيدى .

قال الدكتور (جلال) فى صرامة متوترة :

ـ ليس من اللياقة ، أو من قواعد الانضباط العسكرى ، أن تقاطع قائدك الأعلى ، على هذا النحو أيها المقدم .

انعقد حاجبا (نور) ، دون أن يجيب أو يعلق ، فى حين رمق القائد الأعلى مديرمركز الأبحاث بنظرة عتـاب صارمة ، قبل أن يلتفت إلى (نور) ، ويسأله فى اهتمام :

ـ كيف حال فريقك الآن يا (نور) ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ (سلوى) و(نشـوى) تعملان مع فريق البحث العلمـى الزمنـى ، لسرعة إعادة بناء نظام استقبال الموجات متناهية القصر ، وتطويره بحيث يمكنـه البث أيضًا ، وهذا لن يستغرق وقتًا طويلاً ، كما أكدت لى زوجتى ؛ باعتبار أن التصميمات الرئيسية كلها متاحة ، والبرنامج الذى صنعته ابنتى قادر على بث تلك الموجات بالفعل ، أما (أكرم) ، فلست أظنه يستطيع مشاركتنا الآن ، مع كل ما يعانيه من إصابات ، ولولا الدرع الواقية من الرصاصات وأشعة الليزر ، التى كان يرتديها تحت قميصه ، لكان الآن فى عداد الأموات ، ولقد تم نقله ، هو وزوجته السيدة (مشيرة) ، التى أعتبرها شاهد العيان الوحيد لدينا ، إلى جناح طبى خاص ، تحميه الموجات المتناهية المضادة ، وكذلك تم نقل (رمزى) ،

الذى يؤكد الأطباء أن حالته مطمئنة ، وإن كان يعانى مؤقتًا من فقدان ذاكرة جزئى ، سيزول خلال ساعة واحدة على الأكثر .

سأله القائد الأعلى ، فى اهتمام أكثر :

ـ وما خطتك للجولة القادمة ؟!

أجابه بنفس السرعة :

ـ أعتقد أننى سأعفى (أكرم) ، من مواصلة العمل فى هذه المهمة ؛ نظرًا لحالته ، ولقلقه الشديد على مصير زوجته ، الذى يشغله طوال الوقت عن التعامل مع الموقف بالمصداقية والتركيز الكافيين ، أما (رمزى) ، فمن المؤكد أنه قد عثر على شىء ما ، فى السجلات الطبية العالمية ، دفع خصمنا المجهول إلى محاولة القضاء عليه ، بوساطة ذلك الحريق ، ومن الضرورى أن يستعيد ذاكرته ، بعد أن يعود إليه وعيه كاملاً ، لنعرف ما الذى عثر عليه .. أما بالنسبة للسيدة (مشيرة) ، فقد حاولت التذكر بالفعل ، إلا أن محاولتها هذه ارتطمت

بشىء ما ، زرعه ذلك الخصم المجهول فى عقلها .. شىء أصابها بفزع مفاجئ ، وجعلها تسقط مرة أخرى فى غيبوبة ، لم تخرج منها ، حتى هذه اللحظة ، وأعتقد أننى سأحتاج إلى (رمزى) ، لانتزاع ما رآه عقلها ، فى أثناء اتصاله بعقل الخصم .

سأله الدكتور (جلال) فى اهتمام :

ـ وبم يمكن أن يفيدك (رمزى) هنا ؟!

أجابه (نور) :

ـ (رمزى) خبير فى التنويم المغناطيسى ، ولديه موهبة كبيرة فى هذا الشأن ، بحيث يمكنه أن يدفع الشخص الخاضع له ، إلى الغوص فى الأماكن المظلمة من عقله ، وتجاوز أية حواجز فيه ، لبلوغ النقطة التى يسعى إليها .

سأله القائد الأعلى :

ـ وهل تعتقد أن هذا سيفلح ، مع السيدة (مشيرة) ؟!

تنهد (نور) ، مجيبًا :

ـ أتعشم هذا يا سيدى .. أتعشم هذا .

سأله الدكتور (جلال) ، وهو يشير بيده :

ـ وما دور زوجتك وابنتك بالضبط ، فى المرحلة القادمة ؟! ألم توقف موجات (نشوى) المضادة ، نشاط الموجات المخية الفائقة ، التى يمكن لـ (سلوى) التقاطها ، والاستفادة منها على أى وجه ؟!

صمت (نور) بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ الواقع يا سيدى أن (سلوى) و(نشوى) لن تتعاملا مطلقًا ، مع موجات مخ خصمنا الفائقة .

سأله القائد الأعلى فى دهشة :

ـ ما الذى تفعلانه إذن ؟!

أجاب (نور) فى سرعة :

ـ تساعدانى على ضم عضو جديد إلى الفريق .

لم تنعقد حاجباه ، وهو يضيف فى حزم :

ـ أو بمعنى أدق ، إعادته إليه .

اتسعت عينا القائد الأعلى عن آخرهما ، فى فهم واضح ، فى حين تساءل الدكتور (جلال) ، فى حيرة حذرة :

ـ أى عضو هذا ؟!

شد (نور) قامته مرة أخرى ، مجيبًا بمنتهى الحزم :

ـ (محمود) .. زميلنا القديم (محمود) .

وكانت مفاجأة حقيقية ..

ومدهشة .

* * *



ـ مرحلة جديدة ..

مع الصمت التام ، المحيط بذلك الوادي الواسع ، ين جبال (التبت) العالية ، بدا المعبد البوذي لقديم ، الذي يحتل مساحة واسعة ، وكأنه مقبرة خالية من الحياة تمامًا ، وذلك الراهب المختار يتقدم حوه ، في هدوء عجيب ، لا يوحي بالرحلة الشاقة جدًا ، التي قطعها وحده ، وسط البرد والثلوج ، حتى يصل إلى هناك ..

ومع اقترابه من المعبد ، الذي يعتبر أقدم معابد المنطقة ، خرج من المكان عدد من الرهبان ، لهم نفس الوجوه النحيلة الشاحبة ، والرءوس الصلعاء ، التي تخلو من الشعر تمامًا ، مما جعلهم أشبه بعدة نسخ من شخص واحد ..

وفي هدوء ونظام مدهشين ، صنع هؤلاء الرهبان

صفًا واحدًا ، وقف في استقبال الراهب المختار ، الذي واصل طريقه ، حتى وصل إليهم ، وحياهم بإيماءة هادئة من رأسه ، قبل أن يتجه إلى داخل المعبد في صمت ، فتبعوه جميعهم ، وهم يصنعون نصف دائرة من خلفه ، على نحو جعلهم أشبه بسرب من الطيور ، يستعد للرحيل ، في موسم الهجرة ..

وما إن دخل الراهب المختار المعبد ، حتى التف الجميع حوله ، في دائرة كاملة ، بدت كاملة الاستدارة ، شديدة الانتظام على نحو مبهر ، وإن شملها صمت تام مهيب ..

والعجيب أن ذلك الصمت كان ظاهريًا وخارجيًا فحسب ..

فعبر عقولهم ، كان الراهب يقول بعقله :

ـ الغريب ، الذي جاء ليتتلمذ على يد زميلنا ، في المعبد العلوي ، تجاوز كل الحدود .. لقد تفوق عقله ، وامتلأ بكل شرور الدنيا .. فقتل .. وهرب .. وأطلق شروره في عنف ..

استقبل عقله سؤالاً يقول :

- إلى أين ذهب ؟!

أجاب بعقله :

- عقلي وحده لايكفي للرصد .. أحتاج إلى عقولكم جميعًا .

عند هذه المرحلة ، جلس الجميع القرفصاء ، في شكل الدائرة نفسه ، في حين جلس الراهب المختار في المركز ..

وأغلق الجميع عيونهم ..

ثم انطلقت عقولهم ..!

انطلقت كلها نحو الراهب المختار ، الذى استقبلها بعقله ، وشحن بها قوته ، لتنطلق قواهم كلها عبر عقله وحده ..

تمامًا كما تفعل مكثفات أشعة الليزر ..

أو أجهزة البث القوية ..

جدًا ..

ومع قواهم مجتمعة ، انطلق عقله بقوة أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

انطلق على نحو لا يمكن وصفه ، بأية مصطلحات علمية معروفة ..

أو حتى بأى مصطلح أدبى معتاد ..

أو غير معتاد ..

انطلق عقله ، المحمّل بقوى عقولهم ، يجوب العالم كله بلا استثناء ..

تمامًا كموجة قوية ، تبعث من نقطة ما ، وراحت تنتشر ، لتحيط بالكرة الأرضية كلها ..

والعجيب أن هذه الانطلاقة العقلية المدهشة لم تستغرق سوى ثوان محدودة ..

ثوان لم تتجاوز أصابع اليدين ..

وبعدها ، انحسرت تلك الموجة بنفس السرعة ..

وارتدت إلى عقل الراهب المختار ..

ومنه إلى عقول الآخرين ..

ومن الواضح أن ما حدث قد استلزم منهم جهدًا خرافيًا ، يتجاوز الحدود ..

كل الحدود ..

حدود قواهم العقلية ..

والجسدية أيضًا ..

فما إن انحسرت تلك الموجة إلى عقولهم ، حتى سقطت رءوسهم على صدورهم ، كما لو أنهم قد فقدوا وعيهم ..

ولكنهم ظلوا جالسين القرفصاء ، وإن خلت أجسادهم وملامحهم ، من كل أثر للحياة والنشاط ..

وطوال أكثر من ساعة كاملة ، ظلوا على وضعهم هذا ..

لقد استنفدت المحاولة الفائقة قواهم ..

كل قواهم ..

وخلال تلك الساعة ، استيقظت عقولهم ، واستعادت سيطرتها على أجسادهم ، فاعتدلوا في مجلسهم ، وعادت الحيوية إلى عيونهم الضيقة ، الغائرة وسط وجوههم النحيلة ، التي ازدادت شحوبًا وذبولاً ، وهم يعاودون اتصالهم العقلي المباشر ..

وعبر عقله ، قال الراهب المختار كلمة واحدة :

- (مصر) ..

واستقبلت عقولهم الكلمة ..

واستوعبتها ..

وهضمتها ..

وأدركت الخطوة التالية المطلوبة ..

وعبر عقل أحدهم ، التقط الكل رسالة واضحة ..

الأمر يحتاج إلى كل القوة ..

وكل العقل ..

وكلاهما يحتاج إلى النشاط التام ، الذى لايمكن أن يصنعه شخص مجهد ..

أو شخص بمفرده ..

ومع استقبالهم للرسالة ، عاد الرهبان يغلقون عيونهم ..

ويسترخون ..

استعدادًا للمرحلة التالية ..

المرحلة الجديدة ..

والمخيفة ..

جدًا ..

* * *

وسط الظلام الدامس ، فى مكان ما من أرض (مصر) ، جلس ذلك الرجل القرفصاء ، فى نفس الوضع الذى اتخذه الرهبان فى معبدهم ..

وراح عقله يعمل على نحو عجيب ..

ولو أوصلنا عقله لحظتها ، بأحد أجهزة رسم المخ الإليكترونية ، لانفجر بمنتهى العنف ، مع قوة الموجات المنبعثة منه ..

الموجات الجبّارة ..

وفى تلك اللحظة بالذات ، كانت تلك الموجات محمّلة بالغضب ..

كل الغضب ..

لقد نجح (نور) وفريقه في مقاومته ، إلى حد ما ..

نجحوا فى تحجيم قدرته المدهشة ، على السيطرة على عقول البشر .. !

وهو لم يضع هذا فى حسابات خطته أبدًا ..

كان يعلم جيدًا ، أن وصول قواه العقلية إلى مدى فائق ، يجعل مخه يطلق تلك الموجات متناهية القصر ..

ولكنه كان يدرك أنه لا توجد وسيلة واحدة ، على الأرض كلها ، يمكن أن تلتقط تلك الموجات ..

أو ترصدها ..

ولكن من الواضح أن العلم يتقدم أسرع مما تصور ..

أسرع بكثير ..

أو أن مصادفات القدر تعمل ضده ..

لقد التقطوا موجات مخه ، عندما ارتفعت ؛ لتبلغ قدرة السيطرة على عقول البشر ..

ليس هذا فحسب ، ولكنهم نجحوا في تتبعها أيضًا ..

وإطلاق موجة متناهية الصغر ، لإفساد مفعولها ..

ولقد نجحوا إلى حد ما ..

فمع الموجة المضادة ، التي تغمر العالم كله تقريبًا ، لن ينجح عقله في بلوغ المرحلة الكافية ؛ للسيطرة على عقول الآخرين ..

ولكن من الواضح أنهم لا يدركون مدى قوته ..

وقدراته ..

وعقله ..

أولئك الرهبان ، في جبال (التبت) ، لم يمكنهم فهمه ..

أو استيعاب قوته ..

ومن حسن حظه أنهم عجزوا عن هذا ..

فلو أدركوا حقيقته ، لما منحوه علمهم أبدًا ..

ولقد كان يحتاج إلى هذا ..

يحتاج إليه بشدة ..

ولولا صبره وإرادته ، لما بلغ ما بلغه الآن ..

لقد تفوق على عقولهم المتطورة ..

كل عقولهم ..

قدرات عقله الآن تفوق قدرات عقولهم مجتمعين ..

ثم إنه أكثر ذكاءً منهم أيضًا ..

أكثر ذكاءً من كل البشر ..

بلا استثناء ..

هذا ما أثبته فيما مضى ..

وما ينبغي أن يثبته الآن ..

توقفت أفكاره كلها ، وهو يغلق عينيه في قوة ، على الرغم من الظلام الدامس المحيط به ، والذي يغمره تمامًا ، دون بصيص واحد من الضوء ..

كان يفعل نفس ما فعله رهبان (التبت) ..

يدفع جسده إلى الاسترخاء ، ليشحن قواه العقلية إلى آخر مدى ممكن ..

لقد تحداه (نور) وفريقه ، وتصوروا أنهم قد انتصروا عليه ..

وعليه أن يثبت لهم العكس ..

لابد أن يدركوا أنه أقوى منهم ..

وأبرع منهم ..

وأذكى منهم أيضًا ..

فقواعد اللعبة لا تعتمد على قواه العقلية وحدها ، وإلا لهزمه رهبان (التبت) ..

ولسحقوه سحقًا ..

فقوته الحقيقية تكمن في ذكائه ..

وبراعته ..

وقلبه ..

قلبه الذي ينبض ليدفع الدم في عروقه فحسب ..

دون ذرة واحدة من الرحمة ..

أو الشفقة ..

أو الإنسانية ..

فمن الناحية العملية ، هو رجل بلا أحاسيس ..

بلا مشاعر ..

وبلا قلب ..

على الإطلاق ..

ومن وجهة نظره، كان هذا يعنى المزيد من القوة ..

القوة بلا حدود ..

وعليه أن يثبت هذا أيضًا ..

وبأعنف وسيلة ممكنة ..

وسيلة تعلن أنه ما زال هناك ..

ما زال الأقوى ..

والأبرع ..

والأكثر قسوة ..

لابد أن يخافه الكل ويخشاه ..

لابد ..

هذه هى الخطوة الأولى فى انتقامه ..

انتقامه اللامحدود ..

لم يكد يبلغ هذه المرحلة من أفكاره، حتى شعر بموجة عقلية عنيفة، تنقضّ على عقله ..

موجة لم يواجه مثلها من قبل قط ..

موجة أصابته، كما لو كانت صفعة قوية، ارتج لها جسده ..

بل كيانه كله ..

ولثوان لم تتجاوز أصابع اليدين، ترنّح جسده بقوة، وبدا وكأنه سيسقط على ظهره ..

ثم استعاد تماسكه فى سرعة ..

وانعقد حاجباه، بكل غضب الدنيا ..

وكل شرور الكون ..

لقد كشفوا موقعه ..!

أولئك الرهبان اتحدوا بعقولهم ..

وانطلقوا خلفه ..

وكشفوا أمره ..

ولقد منحهم اتحادهم قوة رهيبة ..

قوة كانت تسيطر على عقله ..

لولا أن هذا لايمكن أن يحدث ، إلا لفترة قصيرة من الزمن ..

قصيرة جدًا ..

فترة لا تكفى لبلوغهم عقله ..

والسيطرة عليه ..

وإخضاعه ..

إلا أنه لا ينبغى أن يستهين بهذا أبدًا ..

إنهم قادمون ..

أحدهم على الأقل سيأتى ..

ولو أنه اتحد مع (نور) وفريقه ، فستصبح المعركة عنيفة ..

عنيفة إلى أقصى حد ..

لذا ، فمن المحتم أن يتحرك بمنتهى القوة ..

ومنتهى السرعة ..

لابد أن يسحق (نور) وفريقه سحقًا ، قبل أن يتصل بهم أحد الرهبان ..

قبل أن يكشف لهم سر قوته ..

ونقطة ضعفه ..

نقطة ضعفه الوحيدة ..

وبكل صرامة وشر الدنيا ، عاد يجمد في مجلسه ، وعقله يعيد دراسة الموقف بأكمله ، من خلال كل ماسمعه بآذان الآخرين ..

وكل ما رآه بعيونهم ..

وكل ما انتزعه من عقولهم وأفكارهم ..

لقد أوقفوا قدرته على السيطرة على عقول البشر ، بوساطة تلك الموجة المضادة ، التى يبثونها من مكان ما ..

لابد إذن أن يمنع ذلك البث ..

وبأى ثمن ..

وبإرادة فولاذية ، راح يعتصر عقله ..

ويعتصره ..

ويعتصره ..

ثم تألقت عيناه ببريق شيطانى مخيف ، كاد يبدد الظلام الدامس ، المحيط به من كل جانب ..

لقد منعوه من السيطرة على عقول البشر ..

ولكن هناك عقول أخرى ..

عقول أقل كفاءة ..

ولكن أجساد أصحابها أكثر قوة ..

وأكثر شراسة ..

ووحشية ..

عقول يمكنها أن توصله إلى هدفه ..

من أقصر طريق ممكن ..

ومع اختمار ذهنه بالفكرة الشيطانية ، تضاعف تألق عينيه أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وانطلق عقله يعمل ...

بمنتهى البراعة ..

ومنتهى الشر ..

* * *

« إنها موجة مخية هائلة ... » ..

نطقت (سلوى) العبارة ، فى توتر شديد ، وهى تتطلع إلى الشاشة الجديدة ، لجهاز استقبال الموجات متناهية القصر ، قبل أن تتراجع فى مقعدها ، وتلوّح بيدها ، متابعة :

- قوتها تفوق قوة الموجة الأولى بمرتين على الأقل .



ومع اختمار ذهنه بالفكرة الشيطانية ، تضاعف تألق عينيه أكثر .. وأكثر ..

غمغمت (نشوى) في قلق :

- يا إلهي ! هل يمكن أن تبلغ قوته هذا الحد ؟!

هزت (سلوى) رأسها ، قائلة :

- لست أدرى ، ولكنها لم تستغرق فترة طويلة .. لم تبلغ حتى ما يكفى لتحديد مصدرهما ..

تراجعت (نشوى) في مقعدها ، متسائلة :

- ترى ما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

عادت (سلوى) تهز رأسها ، مغمغمة :

- لست أدرى يا (نشوى) .. حقًا لست أدرى .

قال رئيس فريق العلماء في عصبية :

- لابد أن تبذلى قصارى جهدك يا سيدتى ، فلم يعد لدينا علماء اتصالات أكفاء سواك ، بعد أن ..

انعقد حاجباها ، وهى تقاطعه في صرامة :

- أعلم هذا .

ثم التفتت إلى (نشوى) ، تسألها فى اهتمـام ، وكأنها تفرّ من خوض هذه المناقشة المستفزة :

ـ هل تعتقدين أنه بإمكانك إتمام الاتصال ، مع موجات (محمود) ؟!

صمتت (نشوى) بعض الوقت ، وأصابعها تتقافز على أزرار الكمبيوتر ، قبل أن تجيب :

ـ موجاته لم تعد متاحة على الشاشة ، لسبب نجهل كل شىء عنه ، ولكننى سأبث الاتصال على أية حال .

نقل رئيس الفريق نظره بينهما ، قبل أن يقول :

ـ هل تعلمان أن ما تفعلانه يعدّ فتحًا ، فى عالم الاتصال بين الأبعاد المختلفة ؟!

غمغمت (نشوى) :

ـ نتعلّم هذا .

قال فى حماسة :

ـ لو نجحتما فيما تفعلانه ، فستفتحان آفاق دنيا

جديدة .. ستضعان اللبنة الأولى ، فى علم لم تعرفه الأرض من قبل .. علم الاتصال بين الأزمنة والأبعاد ، من خلال ما أطلقتما عليه اسم (الفراغ الزمنى الحر) ؛ فوفقًا لما سمعته منكما ، يعتبر ذلك الفراغ مرحلة وسيطة ، تربط كل الأزمنة والأبعاد بعضها ببعض .. ومن يدرى ما الذى يمكن أن يبلغه العلم وقتها .. ربما نكشف أبعادًا جديدة لعالمنا ، أو عوالم أخرى ، تحتل نفس الفراغ ، الذى يحتله عالمنا ، ولكننا لانشعر بها ؛ لمجرّد أنه لا توجد وسيلة معروفة لاتصالنا بها .

غمغمت (سلوى) :

ـ ليس هذا ما يشغلنا فى الوقت الحالى .

هتف الرجل :

ـ هذا ما يحدث دومًا .. أن يكشف لنا العلم وجهًا ، لم نكن نسعى إليه ، بينما تيمّم وجوهنا شطر وجه آخر ، ربما يختلف عما كشفناه تمام الاختلاف .. عشرات الحوادث العلمية تؤكد هذا ، فى تاريخ العلم كله(*) .

(*) حقيقة ..

لم يبد أن (نشوى) قد سمعت عبارته، وهى تواصل ضرب أزرار جهاز الكمبيوتر الخاص بها، قائلة:

- لقد انتهيت تقريبًا.

ثم التقطت نفسًا عميقًا، وهى تتراجع فى مقعدها، مضيفة:

- ضغطة زر واحدة، ويبدأ البث، على نفس الموجة، التى التقطنا منها استغاثة (محمود).

خفق قلب (سلوى)، وهى تغمغم:

- أأنت واثقة ؟!

أما رئيس الفريق، فسألها فى اهتمام:

- ما فحوى الرسالة بالضبط ؟!

أشارت (نشوى) بيدها، مجيبة:

- إنها رسالة بسيطة للغاية، فقط أطلب منه أن يخبرنا، إذا ما كان قد استقبل بثنا أم لا.

سألها:

- وما الذى تتوقعين حدوثه عندئذ ؟!

هزت كتفيها، قائلة:

- أن أتلقى جوابًا منه، يثبت أن باستطاعتنا مخاطبته، عبر هذا الأسلوب.

خفق قلب (سلوى) مرة أخرى، وهى تقول فى انفعال:

- فيم انتظارنا ؟!

ضغطت (نشوى) الزر الأخير، قائلة:

- نعم .. ماذا ننتظر ؟!

وثب قلب (سلوى) بين ضلوعها، مع ضغطة الزر، وانعقد حاجبا رئيس فريق العلماء فى شدة، فى حين سرت ارتجافة كالثلج، فى جسد (نشوى)، وثلاثتهم يتطلعون إلى شاشة الجهاز الجديد، و...

« عجبًا ! »

هتفت (نشوى) بالكلمة، على نحو كاد معه قلب (سلوى) يتوقف عن النبض، وهى تسألها:

- ماذا حدث ؟!

أجابتها (نشوى) فى عصبية :

ـ الجهاز عاجز عن بث الاتصال .

هتف رئيس الفريق :

ـ عاجز عن ماذا ؟!

أما (سلوى) ، فسألتها فى انزعاج شديد :

ـ لماذا ؟! هل أصابه تلف ما ؟!

راجعت (نشوى) كل زر فى جهازها ، وكل سنتيمتر منه ، وتأكدت من أن كل برامجه تعمل بكفاءة ، قبل أن تجيب فى حيرة :

ـ كل شىء يعمل على ما يرام ، ولكن البث لايتم ..

هتفت (سلوى) فى عصبية :

ـ مستحيل ! هناك سبب ما حتمًا .. هناك سـ ...

بترت عبارتها دفعة واحدة ، لتهتف :

ـ آه .. هذا هو التفسير الوحيد .

التفتت إليها (نشوى) فى تساؤل صامت ، حوله رئيس الفريق إلى سؤال مسموع ، وهو يقول :

ـ أى تفسير هذا ؟!

هتفت :

ـ الموجة المضادة .

تراجعت (نشوى) بحركة حادة ، قائلة :

ـ يا إلهى ! كيف لم أنتبه إلى هذا ؟!

تابعت (سلوى) فى انفعال :

ـ من الواضح أن استغاثة (محمود) ، كانت تتوافق على نحو ما ، مع تلك الموجات المخية الفائقة ، التى يبعثها عقل عدونا المجهول ، وعندما أطلقت موجتك المضادة ، لإيقاف تأثير الأخير ، منعت فى الوقت ذاته اتصال الأول .

اتسعت عينا رئيس الفريق ، وهو يغمغم :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

أما (نشوى) ، فالتقى حاجباها فى توتر ، وهى تقول فى انفعال :

ـ بالطبع .. كان ينبغى أن أدرك هذا منذ اللحظة الأولى ؛ فالموجتان كلتا متداخلتين .

قالت (سلوى) فى حزم :

ـ ولكنهما لم تكونا ممتزجتين .

سألتها (نشوى) :

ـ ماذا تعنين ؟!

أجابتها فى حزم أكثر :

ـ أعنى أننا قد استطعنا بالفعل فصل الموجتين رقميًا ، عن بعضهما ، ومادمنا قد فعلنا هذا ؛ لتحديد كل منهما ، وتصنيفها منفصلة ، فمن الممكن بالتأكيد أن نطور الموجة المضادة ، بحيث تؤثر فى إحداهما دون الأخرى .

بدا القلق فى ملامح رئيس الفريق وصوته ، وهو يقول :

ـ سيدتى .. لست أظن أنه من الحكمة أن نجازف بإجراء أية تعديلات على تلك الموجة المضادة ، بعد أن أثبتت نجاحها على هذا النحو .

التفتت إليه (سلوى) ، قائلة فى صرامة :

ـ سيدى .. لا تنسى أبدًا أننى خبيرة الاتصالات الوحيدة هنا .

بدا الغضب على وجه الرجل ، ولكن (نشوى) أيدت قول أمها ، قائلة :

ـ هذا صحيح .. لقد توصلت إلى الموجة المضادة ، بوساطة برنامج خاص من ابتكارى ، ولكن معلوماتى عن عالم الاتصالات ليست بقوة معلومات أمى بالتأكيد .

تلاشى غضب الرجل ، على نحو مفاجئ عجيب ، وهو يقول :

ـ فليكن يا سيدة (نشوى) ، مادمت ترين هذا .

رمقته (سلوى) بنظرة صامتة، ثم قالت:

ـ والآن دعونا نبدأ عملنا فورًا، لتطوير تلك الموجة المضادة، بحيث تمنع عملية السيطرة العقلية، دون أن تعوق عملية الاتصال بزميلنا (محمود)، فى فراغه الزمنى المخيف.

والتقى حاجباها، وهى تضيف:

ـ فربما تسخرون منى، إلا أننى واثقة من أن اتصالنا بـ (محمود)، هو السبيل الوحيد لمعرفة كيفية الانتصار على ذلك الخصم الرهيب.

لم يعلّق أى مخلوق على قولها..

ولم تنتظر هى تعليقًا..

فقد بدأت عملها على الفور، فى هذه المرحلة من الصراع..

المرحلة الجديدة..

والرهيبة..

* * *

التقط (رمزى) نفسًا عميقًا، ملأ به صدره، وهو يهزّ رأسه فى قوة، قبل أن يقول فى توتر:

ـ كان أمرًا رهيبًا يا (نور).. النيران أحاطت بى من كل جانب، داخل حجرة مغلقة، امتلأت بالدخان.. يا إلهى! لست أظننى أستطيع نسيان هذا ما حييت.

سأله (نور) فى اهتمام:

ـ ولكن لماذا يا (رمزى)؟! لماذا حاول هذا الوغد قتلك؟! ما الذى توصلت إليه، فى حجرة السجلات الطبية الدولية؟!

التقط (رمزى) نفسًا عميقًا آخر، قبل أن يجيب فى حزم:

ـ اسمه.

انتفض جسد (نور) فى قوة، وكاد يقفز من مقعده، وهو يهتف:

ـ اسمه؟! هل عرفت اسم خصمنا؟!

أجابه فى سرعة :

ـ نعم يا (نور) .. لقد شاهدت اسمه ، على شاشة كمبيوتر السجلات الطبية الدولية ، ولكن ملفه كان خاليًا تمامًا ، و ...

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه فى ارتياع عجيب ، جعل (نور) يسأله ، فى قلق شديد :

ـ ماذا حدث ؟!

أدار (رمزى) إليه عينين مذعورتين ، وهو يهتف :

ـ لقد نسيته .

سأله (نور) ، بكل توتر الدنيا :

ـ نسيت ماذا ؟!

صاح فى هلع :

ـ نسيت ذلك الاسم .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول ، محاولاً تهدئة انفعالاته :

ـ رويدك يا (رمزى) .. الأطباء قالوا إن ...

قاطعه (رمزى) فى انفعال :

ـ كلا يا (نور) .. هذا ليس جزءًا من فقدان الذاكرة المؤقت ، الذى يعقب الإصابات .. هناك شىء ما داخلى ، يمنعنى من انتزاع الاسم من أعماق ذاكرتى .. شىء يصيبنى بفزع رهيب ، كلما حاولت هذا .. فزع مبهم غامض مخيف ، لا يمكننى تجاوزه أبدًا .

قال (نور) فى توتر :

ـ كنت أتوقع شيئًا كهذا ..

ثم تراجع فى مقعده ، وشفت ملامحه عن التفكير العميق ، وهو يتابع :

ـ وما دامت موجاته العقلية محجوبة الآن ، فهذا يعنى أنه يزرع شيئًا ما ، فى عقول كل من يسيطر عليهم .

قال (رمزى) فى انفعال أشد :

- ولكنه لم يسيطر على عقلى يا (نور) .. لقد سعى لقتلى ، ولكنه لم يحاول السيطرة على عقلى لحظة واحدة .

سأله (نور) فى حيرة متوترة :

- ما الذى يمكن أن يعنيه هذا إذن ؟!

تردد (رمزى) بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حذر :

- ربما هو الاسم نفسه يا (نور) .

ردد (نور) فى عصبية ، تحمل لمحة مستنكرة :

- الاسم ؟! وما الذى يمكن أن يفعله مجرد اسم يا (رمزى) ؟!

أجاب (رمزى) متوترًا :

- هناك نظرية قديمة ، لايعترف بها علماء وخبراء الطب النفسى وعلم النفس ؛ لأنه لا توجد أدلة أو ظواهر

مسجلة بشأنها ، وهذه النظرية تقول : إن كل شىء يتفاعل مع البشر ، على نحو أو آخر .. كل شىء بلا استثناء .. الحيوان ، والنبات ، وحتى الجماد ، وأن هذا هو السبب فيما يطلق عليه الناس اسم (البيوت المسكونة) ، التى يقال : إنها تزخر بأشباح سكانها السابقين ، أو من لقوا مصرعهم فيها لأى سبب ، إذ إن الجماد فى المكان ، من أثاث وأدوات وأجهزة ، وحتى النوافذ والأبواب والجدران ، يحتفظ ببعض انفعالاتهم الشديدة ، أو سكرات الموت التى عانوها ، أو حتى لحظات سعادتهم الجمة ، بحيث ينقل هذا إلى كل من يتواجد فى المكان ، أو يسكنه ، أو يتعامل معه(*) .. ولو صحت هذه النظرية ، فربما يقودنا هذا إلى افتراض وجود قدرات عقلية خاصة ، لدى بعض البشر ، تساعدهم على غرس انفعال ما ، أو شعور ما ، فى مكان ما .. وفى حالتنا هذه ، تم غرس شعور مبهم بالفزع ، فى حروف ذلك الاسم ، بحيث لا يمكن لذاكرتك أن تمنحك إياه ، إلا مصحوبًا بذلك الفزع الرهيب ، الذى يحجبه عنك عمليًا .

(*) حقيقة نظرية .

تضاعف انعقاد حاجبى (نور) ، وتراجع فى مقعده ببطء ، جعل (رمزى) يقول فى أسى :

- لست تصدق حرفًا واحدًا من هذا .. أليس كذلك ؟!

صمت (نور) بضع لحظات ، وهو يتطلّع إليه بلا انفعال ، قبل أن يميل نحوه ، مجيبًا فى هدوء عجيب :

- الفكرة ليست مرفوضة تمامًا يا (رمزى) .

ثم نهض من مقعده ، متابعًا :

- فديننا يخبرنا أن كل شىء فى الوجود يسبّح بحمد الله (سبحانه وتعالى) .. حتى الأشجار والأحجار والجبال والبحار والسحب .. وهذا يعنى ، لكل من يؤمن به ، أن الجماد أيضًا له كيان معنوى خاص ، وإن كنا نجهل الكثير عن هذا ، ولكن هذا ليس نقطة بحثنا ..

وأشار بسبّابته ، مكملاً :

- السؤال الحقيقى هو : ما الذى يغرسه ذلك الوغد ، فى عقول ضحاياه ، أو حتى فيما يتركه خلفه ، والسؤال الأكثر أهمية هو : كيف يمكن التغلب على هذه العقبة ؟!

ومال نحوه ، يسأله فى اهتمام :

- وهل يصلح التنويم المغناطيسى ، لتجاوز هذه العقبة ؟!

أجابه (رمزى) ، بعد وهلة من التفكير :

- لا يمكننى الجزم .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

- ولكن الأمر يستحق المحاولة .

ابتسم (نور) ، قائلاً :

- عظيم .. دعنا ننتقل إذن إلى ...

بتر عبارته بغتة ، عندما لاحظ تلك النظرة القلقة ، المطلّة من عينى (رمزى) ، فاستدار إلى حيث يسقط بصر هذا الأخير ، ثم انعقد حاجباه بمنتهى الشدة ..

فما أثار قلق (رمزى) ، وما وقع بصره هو عليه ، كان أمرًا عجيبًا ..

عجيبًا ومقلقًا بحق ..

وإلى حد مخيف .

* * *

٦ ـ الهجـــوم ..

الخطر يكمن في مكان ما، من أرض (مصر) ..

مكان رأته عقول أولئك الرهبان، في جبال (التبت)، لثوان معدودة ..

ثوان لم تكف لتحديد الموقع بالضبط ..

ولكنها جعلتهم يوقنون من أنه هناك ..

ومن أن أهدافه تعلو قمة الشر ..

كل الشر ..

وبوضوح، كان الرهبان يعتبرون أنهم المسئولون، عن وجود ذلك الوحش الآدمي ..

صحيح أنه، عندما جاء إليهم، كان يمتلك بالفعل قدرات عقلية فائقة ..

إلا أنهم هم دربوه ..

وطوّروه ..

وعلموه كيف يستخدم طاقات عقله الكامنة ..

ولأنه مخادع شرير، فقد نجح في إخفاء طبيعته، وأهدافه الحقيقية عنهم ..

حتى تحوّل إلى وحش ..

وحش كاسر رهيب، لايقيم وزنًا لأية لمحة آدمية ..

على الإطلاق ..

وعندما انتبهوا إلى هذا، كان الأوان قد فات ..

ولأنه يمتلك بالفعل موهبة عقلية خارقة وفريدة، فقد تفوّق عليهم جميعًا ..

وبقوة ..

لذا فقد قرّر ذات يوم أن تدريبه قد اكتمل، وأن طاقاته العقلية قد تفجّرت كاملة، فانطلق ..

انطلق لتحقيق أهداف حقيرة شريرة، يمكن اختصارها كلها في كلمة واحدة ..

الانتقام ..

طبيعته القاسية الشريرة ، كانت تسعى للانتقام من الجنس البشرى بأكمله ، مع طاقة رهيبة من المقت والكراهية ، لا أحد يدرى متى وكيف ولماذا نشأت فى أعمق أعماقه ..

ولا كيف ظلت كامنة هناك ، لعقدين كاملين من الزمن ..

لا أحد يدرى شيئاً عن هذا ..

أو حتى عن هويته الحقيقية ..

أو ماضيه ..

لا أحد يدرى من هو !

من أين جاء ؟!

ولماذا ؟!

طوال عقدين من الزمان لم يفصح عن نفسه قط ..

ولم يتوقف عن تنمية قدراته العقلية لحظة واحدة ..

كان يتصرف دوماً باعتبار أنه يضع نصب عينيه هدفاً ..

وأثبتت الأيام أنه هدف شرير ..

وحقير ..

للغاية !

وهناك ، فى ذلك المعبد الكبير ، فى وادى جبال (التبت) ، اتخذ الرهبان قرارهم .. وعبر عقولهم وحدها ، عرف الراهب المختار المكان ..

وفى صمت تام ، ودون تبادل حرف واحد ، استقرّ الراهب المختار فى مركز دائرة واسعة ، انتشر الرهبان الآخرون على محيطها ، فى نظام مدهش دقيق ، كما لو أنه خبيراً هندسياً قد أشرف على وضعهم وترتيبهم ، بحيث تساوت الفراغات بينهم تماماً ..

وجلس الجميع القرفصاء ، فى نفس الوضع الذى اشتهر به تمثال الكاتب المصرى القديم(*) ..

(*) الكاتب المصرى : تمثال فرعونى قديم ، لرجل يجلس القرفصاء ، واضعاً ورقة بردى على فخذيه ، فى وضع الاستعداد للكتابة ، تم تسميته باسم (الكاتب المصرى) ، واتخذته الهيئة العامة للكتاب فى (مصر) شعاراً لها .

ثم أغلقوا عيونهم ..

وفتحوا عقولهم ..

ولعشرين دقيقة كاملة ، تركزت أفكارهم وموجاتهم العقلية كلها ، على هدف واحد ..

وانطلقت بهدفها نحو الراهب المختار ..

أما هذا الأخير ، فقد بدا صامتًا ، مسترخيًا ، مغلق العينين ، كما لو أنه قد راح في سبات عميق ..

عميق ..

عميق إلى أقصى حد ..

ثم فجأة ، راحت أجساد رهبان الدائرة ترتجف ..

أما الراهب المختار ، فقد ظلّ هادئًا ، صامتًا ، ساكنًا ، وكأنه في عالم آخر ، بخلاف عالمهم ..

وبسرعة ، راحت أجسادهم ترتجف أسرع ..

وأسرع ..

وأسرع ..

ومع تسارع ارتجافاتهم ، بدأ وهج عجيب يحيط بجسد الراهب المختار ..

ثم تسارعت ارتجافاتهم أكثر ..

وتضاعف الوهج أكثر وأكثر ..

إلا أن الراهب المختار ظلّ ساكنًا ، هادئًا ، و ....

وفجأة تألّق الوهج في عنف ، كما لو أن قنبلة من الماغنسيوم قد انفجرت في مركز الدائرة(*) ..

ثم تلاشى الوهج بنفس السرعة ..

وسقطت رءوس الرهبان على صدورهم ..

أما الراهب المختار ، فلم يعد هناك ، في مركز الدائرة ..

لقد اختفى ..

اختفى تمامًا ..

ودون أدنى أثر ..

* * *

(*) الماغنسيوم : عنصر فلزي نشط ، رمزه (ما) ، لونه أبيض فضي ، قابل للطرق والسحب ، ويكثر من الثروات القلوية ، وهو يحترق في الهواء بلمعان ، لذا فهو يستخدم في الألعاب النارية ، وكشريط للشعل ، كما أن له استخدامات عديدة ، في الطب ، والتصوير الضوئي .

فجأة ، انتفض جسد (مشيرة) ، واعتدلت جالسة على فراشها ، صارخة :

- لا ..

وعلى الرغم من جراحه وآلامه ، وثب (أكرم) من الفراش المجاور لها ، وأسرع يحتويها بين ذراعيه ، هاتفًا :

- رويدك ياحبيبتي .. رويدك .. أنت هنا في أمان .. لقد أفسدنا قدرة ذلك الوغد ، ولم يعد باستطاعته أن يؤذيك .

حدقت في وجهه بضع لحظات في ذعر ، قبل أن تتساءل :

- أين نحن ؟!

أجابها ، وهو يضع على شفتيه ابتسامة زائفة ، في محاولة لتهدئة توترها الشديد ، وذلك الفزع الذي سيطر على نفسها ، وجعلها ترتجف بين ذراعيه القويتين ، كطير صغير مذعور مبتل :

- إننا في أمان يا عزيزتي .. لقد أحضرنا (نور) إلى

قسم طبي خاص ، في إدارة الأبحاث العلمية ، و(نشوى) بثت في المكان موجة مضادة لطاقة ذلك الوغد ، الذي سيطر على عقلك من قبل .

بكت ، قائلة :

- كانت تجربة رهيبة .. رهيبة يا (أكرم) .

ضمها إلى صدره في حنان ، قائلا :

- ولكنها انتهت يا عزيزتي .. انتهت إلى الأبد .

دفعته عنها ، وهي تقول في عصبية :

- لا .. لم ينته بعد .

تطلع إليها في دهشة ، فتابعت بعصبية أكثر ، وعيناها تزوغان على نحو عجيب :

- الأمر ليس بهذه السهولة .. إنه أقوى مما تتصورون .

هوى قلبه بين قدميه ؛ خشية أن تكون سيطرة

عدوى المجهول على عقلها ، قد أتلفت شيئًا من خلايا مخها واتزانها ، فقال محاولاً تهدئتها :

ـ لا بأس يا عزيزتى .. سنترك هذا لـ (نور) والرفاق ، و ...

صرخت فجأة :

ـ لن يمكنهم فعل شىء .. أى شىء ..

ثم مالت نحوه ، وارتجف صوتها بشدة ، مع إضافتها :

ـ إنه ليس مباشرًا كما يصوّرون ، كما تتصوّر أنت .. إنه خبيث كالثعلب ، ناعم سام كالثعبان .. إنه الشر يا (أكرم) .. كل الشر .

حدّق فيها بدهشة مذعورة ، وراودته لحظة فكرة أن يكون ذلك الخصم قد سيطر على عقلها مرة أخرى ..

إلا أن كل شىء فيها لم يكن يوحى بهذا ..

ملامحها ..

وحتى انفعالاتها ..

لذا ، فقد سألها فى حيرة قلقة :

ـ وكيف يمكنك الجزم بهذا ؟!

هتفت بحدة ..

ـ أنا أعرف .

وعادت الدموع تسيل من عينيها ، وهى تضيف .

ـ كل شىء هنا .. فى مكان ما من عقلى .

وارتجف جسدها كله ، مع استطرادتها :

ـ وهذا يفزعنى يا (أكرم) .. يفزعنى بشدة .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يحدّق فيها ، وقد امتلأ قلبه بخوف شديد ، لم يشعر بمثله من قبل ..

خطير للغاية ، ذلك الذى قالته (مشيرة) ..

كل شىء هناك ، فى مكان ما من عقلها ..

كل شىء ..

وهذا يعنى أنها تعرف أكثر مما ينبغى ، بالنسبة لخصمهم الرهيب ..

تعرف هويته ..

وقوته ..

وأهدافه ..

وتعرف أكثر ، وهذا هو الأخطر ، نقاط ضعفه وقصوره ..

ومن الطبيعي ، والحال هكذا ، ألا يسمح ذلك الخصم ببقائها على قيد الحياة ..

مهما كان الثمن ..

من المنطقي أن يسعى للقضاء عليها ..

وبكل الوسائل الممكنة ..

ولقد تصوّر هو أن ما فعلته (نشوى) قد حسم الأمر ..

ولكن (مشيرة) تؤكد العكس ..

تؤكد أن هذا لايكفي ..

ولن يكفي ..

وأن خصمهم ما زال يحمل لهم الكثير في جعبته ..

وربما الكثير جدًا ..

ومن المحتم أن أول ما سيسعى إليه ، هو التخلص من نقطة ضعفه .

من (مشيرة) ..

وبكل خوف الدنيا ، ضمها (أكرم) إليه مرة أخرى ، وهمس في أذنها :

- سيكون عليه أن يعبر جثتي ألف مرة ، قبل أن يمس شعرة واحدة منك .

غمرت دموعها صدره ، وهي تقول في مرارة :

- وهل تعتقد أن هذا سيوقفه ..

ولم ينبس (أكرم) ببنت شفة ..

فقط ازداد انعقاد حاجبيه في شدة ، وقد راوده شعور عارم باليأس والمرارة ..

فهو يعلم أن ذلك الخصم سيسعى للقضاء على (مشيرة) حتمًا، على الرغم من كل ما يحدث، من محاولات لمنعه أو تحجيم قوته وقدراته ..

والسؤال الذى يشغل ذهنه الآن، هو كيف سيفعل هذا ؟!

كيف ؟!

* * *

فى البداية، كان هناك فأر واحد ..

فأر أبيض صغير، من تلك الفصيلة، التى يتم استخدامها، فى إجراء الاختبارات الطبية والعلمية، ظهر عند باب حجرة (رمزى)، ووقف عند عتبتها، يتطلع إليه فى صمت وسكون ..

وعلى الرغم من أن بصره قد وقع عليه، فى أثناء اندماجه فى الحديث مع (نور)، لم يبال (رمزى) كثيرًا بوجوده، وتصور أنه مجرد فأر تجارب، فرّ من أحد المعامل، داخل معمل الأبحاث العلمية ..

ثم ظهر الفأر الثانى ..

والثالث ..

والرابع ..

وعندما وصل الفأر الخامس، واصطف مع رفاقه فى شريط منتظم، عند عتبة الحجرة، تطلع (رمزى) إليهم فى دهشة وقلق ..

وهذا ما أثار انتباه (نور) ..

وعندما استدار إليهم بدوره، كان ثلاثة فئران آخرون قد انضموا إلى الصف ..

ثم تكوّن صف ثان ..

وبكل دهشته وتوتره هتف (رمزى) :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

وقبل حتى أن ينطلق هتافه، أو ينطرح سؤاله، كان (نور) قد استوعب الأمر كله، على الرغم من غرابته ..



لذا ، فقد مدَّ يده إلى مسدسه الليزرى فى حذر ، وهو يشير إلى (رمزى) ، قائلاً فى حزم : - لا تتحرَّك من مكانك .

لذا ، فقد مدَّ يده إلى مسدسه الليزرى فى حذر ، وهو يشير إلى (رمزى) ، قائلاً فى حزم :

- لاتتحرَّك من مكانك .

ولكن قلب (رمزى) كان يخفق فى عنف ، مع ظهور صف ثالث من الفئران ، التى راحت تتطلع إليه كلها ، بعيون لامعة صغيرة ، فهتف فى ذعر :

- ماذا يحدث يا (نور) ؟!

أدار (نور) عينيه فى الحجرة بسرعة ، قبل أن يجيب فى صرامة ، وهو يسحب مسدسه الليزرى :

- إنه خط الهجوم الثانى .

هتف (رمزى) فى فزع :

- خط ماذا ؟!

أجابه (نور) ، وعقله يدرس الموقف كله فى سرعة :

- لقد عجز ذلك الوغد عن السيطرة على عقولنا ، بسبب موجة (نشوى) المضادة فلجأ إلى السيطرة على عقول الحيوانات .

اتسعت عينا (رمزى) عن آخرهما، وهو يهتف:

- رباه! أتعنى أن ...

قاطعه (نور) فى صرامة:

- نعم .. هذا ما أعنيه.

وعاد يتطلّع إلى الفئران، الذين اكتمل صفهم الرابع، قبل أن يكمل فى توتر:

- إنه يدفعهم نحونا .. وهم ينظمون صفوفهم الآن، استعدادًا للهجوم.

كاد (رمزى) يصرخ، بكل فزع الدنيا، وهو يقول مذعورًا:

- للهجوم ؟!

لم يتخيّل تلك السرعة المذهلة، التى يعمل بها عقل (نور) فى تلك اللحظة، وهو يدرس الموقف كله، ويضع كل الاحتمالات فى ذهنه، متمتمًا:

- نعم .. للهجوم علينا.

واتسعت عينا (رمزى) فى ذعر أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وفى ذهنه، ارتسمت صورة بشعة لسرب الفئران، وهو ينقض عليهما، وينهش جسديهما بأسنانه الحادة الصغيرة، و ....

وفجأة، وقبل أن تكتمل الصورة فى ذهنه، بدأ الهجوم ..

الفئران الصغيرة، التى بلغت الخمسين تقريبًا، انقضت كلها دفعة واحدة، وهى تطلق صيحات رفيعة مخيفة ..

وصرخ (رمزى)، بكل فزع الدنيا ..

أما (نور)، فقد تحرّك بسرعة مذهلة، وبتوافق لامثيل له، فى نفس اللحظة التى بدأ فيها الهجوم ..

ففى حركة واحدة تقريبًا، وثب إلى فراش (رمزى)، ثم دفع رسّام القلب الكهربى بقدمه بكل قوته، وهو يطلق أشعة مسدسه الليزرى ..

والمدهش أنه لم يطلق الأشعة نحو الفئران ..

ولا حتى نحو فأر واحد منها ..

لقد أطلق الأشعة نحو زجاجة مياه كبيرة ، من الطراز الضخم ، الذى يعلو مبردات المياه التقليدية ..

وفى آن واحد ، سقط رسام القلب أرضًا ، وانفصل قطباه الكهربيان عنه ، فى نفس اللحظة التى تفجرت فيها زجاجة المياه الضخمة ، لتغمر أرضية الحجرة كلها ، مع اندفاع الفئران وهجومهم ..

ولم يفهم (رمزى) ، فى اللحظة الأولى ، ما الذى يفعله (نور) بالضبط..

ثم استوعب الأمر كله ، فى اللحظة التالية مباشرة..

المياه المتفجِّرة ، من تحطُّم الزجاجة الضخمة ، غمرت الأرضية ، وأجسام الفئران الصغيرة ، قبل أن تبلغ قطبى رسام القلب الكهربى ، و ...

ودوت فى المكان كله فرقعة قوية ..

وتراقصت أضواء الحجرة فى عنف ، عندما سرى التيار الكهربى ، بوساطة المياه المتناثرة ، فى أجسام الفئران البيضاء الصغيرة ، التى راحت تنتفض ..

وتنتفض ..

وتنتفض ..

وبمنتهى العنف ..

وفى صرامة آمرة ، هتف (نور) :

- إياك أن تلمس أى جزء معدنى من فراشك .

حدَّق (رمزى) فى الفئران ، التى تلوَّت فى ألم ، وفرقعات الكهرباء تعلو فى المكان ، قبل أن ينفصل التيار آليًا ، بفعل نظم الأمن الإليكترونية ..

ومع الظلام التام ، الذى غمر المكان ، هتف (رمزى) :

- رباه ! كيف خطرت الفكرة بذهنك يا (نور) ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- كان هذا هو السبيل الوحيد .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى مرارة : !

- ولست أشعر بالفخر ، لما فعلته بهذه الحيوانات المسكينة .

سطعت أضواء الطوارئ فى المكان ، مع آخر كلماته ، وبدت معها جثث الفئران الصغيرة ، المتناثرة فى الحجرة ، على نحو بشع ، فربت (رمزى) على كتف (نور) ، قائلاً فى أسى :

- أنت قلتها يا صديقى .. لم يكن هناك سبيل آخر .

أعاد (نور) مسدسه الليزرى إلى جيبه ، قائلاً فى غضب :

- ذلك الوغد وجد سبيلاً آخر .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

- ولست أشك لحظة واحدة ، فى أنه سيستخدمه ، حتى آخر لمحة منه ..

وقفز إلى ذهنه ألف سؤال وسؤال ، وهو يكمل فى توتر :

- وبكل الطرق الممكنة .

هتف (رمزى) :

- هل تعتقد أنه سيوجه ضربته التالية إلى (مشيرة) ؟!

أجابه (نور) ، وهو يثب من الفراش ، إلى الأرض المبتلة ، التى امتلأت بجثث الفئران البيضاء المصعوقة ، بعد أن تأكد من أن التيار الكهربى الأصلى قد انقطع ، كوسيلة إليكترونية لتأمين المكان :

- بل إلى ما هو أكثر أهمية من هذا ، بالنسبة إليه .

وانعقد حاجباه أكثر ، وهو يستطرد :

- إلى البرج .

سأله (رمزى) فى حيرة :

- أى برج ؟!

اندفع خارج المكان ، مجيبًا بمنتهى الحزم :

- برج بث (أنباء الفيديو) .

ثم توقف لحظة عند الباب ، قبل أن يضيف فى صرامة شديدة :

- سيسعى لاستعادة كل قوته .

قالها ، ثم اختفى من مكانه ، وهو يعدو بأقصى سرعة ، هاتفًا عبر جهاز الاتصال الخاص فى ساعته :

- هنا المقدم (نور) .. إنذار عام لكل أجهزة الطوارئ .. لابد من حماية برج اتصالات (أنباء الفيديو) ، بكل الوسائل الممكنة ، ومنع أى مخلوق حى من الاقتراب منه .. أكرر .. ليس البشر وحدهم ، وإنما أى مخلوق حى آخر ..

قالها وبلغ سيارته الصاروخية ، فوثب داخلها ، وانطلق بها على الفور ، نحو مبنى البث الرئيسى ، لجريدة (أنباء الفيديو) ، وقلبه يخفق بمنتهى القوة ، وعقله يصرخ بسؤال مخيف ..

ترى أية وسيلة سيستخدم ذلك الوغد ، لإيقاف بث الموجة المضادة لسيطرته العقلية الفائقة ؟!

أية وسيلة ؟!

* * *

« الذئاب .. »

هتف قائد طاقم الأمن ، التابع للمخابرات العلمية بالكلمة ، وهو يراقب شاشة الرصد ، التى تنقل ذلك المشهد الرهيب ..

فعند مدخل مبنى البث الرئيسى لجريدة (أنباء الفيديو) ، فى جبل (المقطم) ، وقف قطيع من الذئاب ، يزمجر فى شراسة وحشية ، وعلى نحو لم يحدث من قبل قط .. وفى حيرة مذعورة ، راح رجال الأمن يتطلعون إلى المشهد ، قبل أن يغمغم أحدهم فى عصبية :

- لهذا طلب منا المقدم (نور) ، منع اقتراب أى مخلوق ، وليس البشر وحدهم !!

تساءل آخر ، فى حيرة متوترة :

ـ ولكن لماذا تفعل الذئاب .. هذا ؟!

أجابه قائد الأمن فى صرامة :

ـ ومنذ متى نتولّى البحث عن الأسباب ؟! لقد تلقينا الأمر بمنع أى مخلوق من الاقتراب من البرج ، وعلينا أن ننفذ الأوامر فحسب ، ونترك للمسئولين مهمة التبرير والتفسير .

لم يكد يتم عبارته ، حتى بدأ قطيع الذئاب فى اتخاذ سلوك عدوانى عنيف ..

لقد ارتفع عواء الذئاب على نحو مخيف ، وراحوا ينقضون على أبواب المبنى ، فى عنف وشراسة بلا حدود ..

ومع ذلك المزيج المخيف ، من العواء ، والزمجرة ، وصوت الارتطامات العنيفة ، هتف أحد أفراد الأمن فى توتر :

ـ ماذا نفعل أيها القائد ؟!

أجابه القائد فى صرامة :

ـ الأوامر صريحة .

ثم سحب مسدسه الليزرى ، مستطردًا :

ـ سنمنع أى مخلوق من الاقتراب من البرج ، مهما كان الثمن .

ثم صاح فجأة :

ـ أطلقوا النار .

وكأن الرجال كانوا ينتظرون الأمر ، بمنتهى اللهفة والترقب ، فقبل حتى أن تكتمل صيحته ، كانوا قد اندفعوا نحو نوافذ المبنى ..

وبدءوا فى إطلاق النار بالفعل ..

وعلى الرغم من أن نيرانهم كانت تحصد الذئاب بلا رحمة ، فى كل الاتجاهات حول المبنى ، إلا أن المزيد من الذئاب كان يتدفق طوال الوقت ، دون أن ينقطع دوى الارتطامات لحظة واحدة ..

وبكل توتره وانفعاله، صاح القائد :

ـ واصلوا إطلاق النار بلا توقف .

والواقع أن الرجال لم يكونوا بحاجة لهذا الأمر فعليًا ..

الفزع وحده جعلهم يواصلون إطلاق النار ..

ويواصلون ..

ويواصلون ..

وتواصل في الوقت ذاته صوت الارتطامات العنيفة دون انقطاع ..

ومن بعيد، ظهرت سيارة (نور)، وهي تنطلق بسرعتها الصاروخية نحو المبنى، وانعقد حاجبا (نور) بداخلها، وهو يهتف :

ـ يا إلهي ! أي عبث شيطاني هذا ؟!

ضغط فرامل السيارة بحركة غريزية، فانطلقت وسادة من الهواء المضغوط أسفلها، ودارت حول نفسها بحركة ناعمة، حتى يمكنها أن تتوقف، مع سرعتها البالغة، دون أن يتأثر ركابها ..

ولقد خُيِّل لـ (نور)، أن تلك الحركة، التي لاتستغرق سوى ثوان معدودة، قد مرّت في دهر كامل؛ من شدة توتره وانفعاله، لدرجة أنه لم تكد السيارة تستقر حتى وثب منها، وهو يتطلّع إلى برج البث، مغمغمًا في غضب :

ـ يا للشيطان !

والعجيب أنه لم يبال بقطعان الذئاب، التي تحاصر المبنى نفسه ..

ولا بارتطاماتها المتواصلة مع أبوابه ..

أو حتى بالدماء.. التي صنعت نهرًا أمام مداخله ..

فمنذ اللحظة الأولى، أدرك أن الهدف كله هو البرج، وليس المبنى نفسه ..

وكان هذا واضحًا فيما رآه ..

فالواقع أن خصمه الشيطان قد أثبت، وبكل جدارة، أنه عبقرية مذهلة، لايستهان بها أبدًا ..

عقلية شريرة ، خبيثة ، مراوغة ..

وغير مباشرة على الإطلاق ..

وما يحدث للبرج الرئيسى للبث ، كان يثبت هذا بشدة ..

يثبته ألف مرة ..

أو يزيد ..

* * *



٧ ـ التحدّى الرهيب ..

« فعلتها .. »

هتفت (سلوى) بالكلمة فى حماسة ، وهى تتراجع فى مقعدها ، وانطلقت من أعمق أعماق صدرها زفرة ملتهبة ، قبل أن تضيف :

لقد أصبحت لدينا الآن موجة مضادة ، يمكن إطلاقها بوسيلة شاملة ، لإيقاف تأثير السيطرة على العقول ، دون أن تعوق الاتصال مع (محمود) .

قالت (نشوى) فى انفعال :

ـ كنت واثقة من أنه باستطاعتك هذا يا أمى .

تساءل رئيس فريق العلماء فى قلق :

ـ السؤال هو : كيف يمكن استبدال الموجة المضادة القديمة ، بهذه المتطوّرة ، دون أن يستغل خصمنا المجهول لحظة التغيير ، لاستعادة السيطرة على كل شىء .

ابتسمت (نشوى) ، قائلة :

ـ لست أظن باستطاعته هذا ياسيدى ، فسأعمل على توصيل جهازى بالشبكة الرئيسية ؛ لاختراق شبكة اتصالات (أبناء الفيديو) ، بحيث أنقل الموجة المضادة الجديدة إلى أجهزة البث المتطورة ، التى وضعناها هناك ، فيعمل الجهاز على إحلال الموجة الجديدة محل القديمة ، خلال واحد على مائة ألف من الثانية ، ولست أظن عقل خصمنا يعمل بهذه السرعة المذهلة .

سألها فى توتر :

ـ هل تعتقدين أنه من الممكن أن يتم الأمر بهذه البساطة ؟!

أشارت بيدها ، قائلة :

ـ لهذا نسعى خلف التكنولوجيا ياسيدى .

ترددت (سلوى) لحظة ، عندما بدأت أصابع (نشوى) تتقافز على أزرار الكمبيوتر بالفعل ، ثم لم تلبث أن قالت :

ـ هناك مشكلة واحدة .

توقفت (نشوى) ، لتسألها فى قلق :

ـ أية مشكلة ؟!

ترددت لحظة أخرى ، ثم اندفعت قائلة :

ـ جزء من نظريتى يضع احتمالاً مخيفًا .

بدا القلق على وجه (نشوى) ، فى حين تساءل رئيس الفريق فى توتر :

ـ أى احتمال ياسيدتى ؟!

صمتت بضع لحظات ، ثم أجابت فى عصبية :

ـ ربما لايمكننا الاتصال بـ (محمود) ، حتى بعد فصل الموجتين رقميًا .

اتسعت عينا (نشوى) ، وهى تهتف :

ـ ولماذا ؟!

أشارت (سلوى) بيدها ، قائلة :

ـ إنه مجرد احتمال .

كانت ستكتفى بهذا القول ، لولا أن رأت التساؤل القلق فى عيونهما ، فتابعت فى توتر :

- كنت أتساءل : لماذا لا يحاول (محمود) الاتصال بنا الآن ؟! أعنى هل تمنعه بالفعل تلك الموجة المضادة ، التى نستخدمها لمعادلة الموجات المخية لخصمنا ، أم أن وجود الأخيرة شرط لحدوث هذا الاتصال ؟!

استدارت (نشوى) بجسدها كله إليها ، متسائلة .

- ماذا تعنين يا أمى ؟!

أجابتها فى سرعة ، وكأنما تخشى أن يمنعها ترددها ، من الإفصاح بما لديها :

- أعنى أنه من المحتمل ، نظريًا ، أن تكون تلك الموجات المخية الفائقة ، التى يطلقها خصمنا ، هى الوسيلة التى استخدمها (محمود) ، من فراغه الزمنى ، ليتمّ اتصاله بنا .

لاحظت الذعر فى عيونهما ، فاستدركت فى توتر :

- إنها مجرّد نظرية .

تراجعت (نشوى) ، مغمغمة :

- ولكنها نظرية تستحق التفكير .

اندفع رئيس الفريق ، يقول :

- والاختبار أيضًا .

سألته (سلوى) فى قلق :

- ماذا تعنى ؟!

أجابها ، فى شىء من الحماسة :

- أعنى أن فصل الموجتين قد تم بالفعل ، والسيدة (نشوى) تؤكّد أن عملية الإحلال والاستبدال مأمونة ومضمونة العواقب تمامًا .. فليكن إذن .. دعونا نستبدل الموجة المضادة ، ثم نسعى لإتمام الاتصال مع (محمود) ، ولنر عندئذ ماذا يمكن أن يحدث !

تبادلت (سلوى) و(نشوى) نظرة صامتة ، فهتف مكملاً :

- ماذا سنخسر لو فعلنا ؟!

تمتمت (نشوى) ، وهي تتطلّع إلى أمها :

ـ نعم .. ماذا سنخسر ؟!

صمتت (سلوى) بضع لحظات ، قبل أن تغمغم :

ـ من يدرى ؟!

وواصلت صمتها لحظة أخرى ، ثم أضافت فى حزم :

ـ ولكن إجراء التجربة وفشلها أفضل ألف مرة ، من التساؤل عما كان يمكن أن يحدث لو أجريت .

والتفتت إلى ابنتها ، مضيفة بنفس الحزم :

ـ هيا .. ابدئى عملية الاستبدال .

هتفت (نشوى) فى حماسة :

ـ على الرحب والسعة .

ومع هتافها ، عادت تضرب أزرار الكمبيوتر ، ثم لم تلبث أن قالت فى حزم :

ـ الآن .

ضغطت الزر الأخير ، وتراجعت تتطلّع إلى شاشة جهازها فى ترقّب .

وشاركها رئيس الفريق و(سلوى) لهفتها ، و ...

وفجأة ، ظهرت رسالة رقمية على الشاشة ..

رسالة ، تقول :

ـ لايمكن إتمام عملية الإحلال ؛ لوجود خلل فى برنامج البث الرئيسى .

هتفت (نشوى) فى توتر مستنكر :

ـ خلل فى برنامج البث الرئيسى ؟! مستحيل !

عادت أصابعها تتقافز فى سرعة مدهشة ، على أزرار الكمبيوتر ، و(سلوى) تقول فى عصبية :

ـ لايمكن أن يعلن الكمبيوتر هذا ، إلا فى حالتين ، لا ثالثة لهما ، إما أن يصاب جهاز البث الفائق ، الذى أضفناه إلى شبكة (أنباء الفيديو) بتلف ما ، أو ...

توقّفت دفعة واحدة ، فسألها رئيس فريق العلماء ، بصوت يحمل كل لهفة وتوتر الدنيا :

ـ أو ماذا ؟!

أدارت عينيها إليه في ارتياع ، مجيبة :

- أو أن برج البث لم يعد هناك .

في نفس اللحظة ، التي نطقت فيها عبارتها ، اتسعت عينا (نشوى) في ارتياع ، وهي تحدق في الرسالة ، الجديدة ، التي ظهرت على شاشة جهازها ، هاتفة :

- يا إلهي ! استنتاجك صحيح يا أماه .

واستدارت إليهما ، مضيفة بفزع حقيقي :

- برج (أنباء الفيديو) الرئيسي ، لم يعد موجودًا .. على الإطلاق .

وانتفض جسد (سلوى) ورئيس الفريق في عنف ..

فقد كانت المفاجأة مذهلة ..

ومخيفة ..

جدًا ..

* * *

مشهد رهيب بحق ، ذلك الذي رآه (نور) هناك ..

عند مركز البث الرئيسي ، لشبكة (أنباء الفيديو) ..

فكل ما يحدث عند أبواب المكان وحوله ..

الذئاب ..

الاصطدام بالأبواب ..

العواء ..

كلها كانت مجرد وسيلة لجذب الانتباه وتشتيته ، بعيدًا عن الهدف الأصلي ..

فالهدف الحقيقي كان هناك ..

عند البرج ..

برج البث الرئيسي ..

ففي مشهد مخيف ، كانت آلاف الطيور الصغيرة تنقض على البرج ، بمنتهى القوة والعنف ، صانعة حوله سحابة سوداء رهيبة ..

كانت أجسامها الصغيرة تتحطَّم ..

وأجنحتها تتهشَّم ..

وذيولها تتقطَّع ..

وعلى الرغم من هذا ، كانت تنقض ..

وتنقضّ ..

وتنقضّ ..

ولم يكن ارتطام الذئاب بالأبواب في أسفل ، سوى وسيلة لتغطية صوت آلاف الارتطامات الصغيرة في أعلى ..

وعلى الرغم من صغر أحجام الطيور ، كانت أعدادها الهائلة ، التي ترتطم بالبرج طوال الوقت ، أشبه بسيل لاينقطع من القوة ..

سيل تزعزعت معه قواعد البرج ، فراح يميل ..

ويميل ..

ويميل ..

وبسرعة مدهشة ، ضغط (نور) أزرار جهاز اتصاله الخاص ، وهو يهتف عبره في توتر بالغ :

- أطلقوا التيار الكهربي في برج البث .. فورًا .

التقط قائد الأمن هاتفه ، داخل مبنى (أنباء الفيديو) ، فصاح عبر جهاز اتصاله بدوره :

- ولكن هذا سيوقف البث ياسيادة المقدِّم .

صرخ (نور) في غضب هادر :

- نفِّذ الأمر فورًا يارجل .

أدرك قائد الأمن عندئذ ، مدى خطورة الموقف ، فهتف :

- فورًا ياسيادة المقدِّم .

نطقها الرجل ، وهو يندفع داخل المبنى بالفعل ، صائحًا :

- أطلقوا التيار الكهربي في البرج .

اتسعت عينا مسئول البث في دهشة ، وهو يهتف :

- التيار الكهربي ؟! هذا مستحيل ! إن الـ ...

سحب قائد الأمن مسدسه ، وألصقه بصدغ الرجل ، صارخًا :

ـ أطلق التيار الكهربى .

ارتجف جسد الرجل ، من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، وهو يقول :

ـ فورًا ياسيدى .. فورًا .

ضغط زر كهربة البرج على الفور ، وهو يفكّر فى أن هذا الإجراء الأمنى ، لم يتم استخدامه من قبل قط ، طوال فترة عمله بالمكان ..

أو حتى قبل هذا ..

ومع ضغطته ، سرى تيار كهربى فى البرج ، تبلغ قوته مليون فولت دفعة واحدة ..

وفى الفراغ المحيط بالمبنى ، دوت فرقعة قوية ، مع انطلاق التيار فى البرج ..

ودوت بعدها مئات الفرقعات الصغيرة ، مع تكهرب أجسام الطيور ، التى ترتطم بالبرج ، ثم تسقط مشتعلة ، على جوانبه الأربعة ..

ولكن العجيب أن هجوم الطيور لم يتوقّف لحظة واحدة ..

بل تكاثف ..

وتكاثف ..

وتكاثف ..

ألف مرة ..

ملايين الطيور غطت سماء المكان ، وكلها تنقض على البرج ..

وبمنتهى العنف ..

ووسط فوج الهجوم الانتحارى الثانى هذا ، ظهرت طيور أكبر حجمًا ..

طيور من كل نوع وصنف ..

واتسعت عينا (نور) ، مع ذلك الهجوم الرهيب ..

وبكل انفعاله ، غمغم :

ـ رباه ! كيف يمكن مواجهة أمر كهذا ؟!

كان يشعر بيأس عجيب، مع المشهد الرهيب، لملايين الطيور، التي حجبت ضوء الشمس، والتي يقودها ويسيطر عليها ذلك العقل الهائل الجبار؛ لكي تسقط البرج..

ولقد ظلت الارتطامات تتواصل..

وتتواصل..

وتتواصل..

حتى انفصلت قواعده تمامًا..

وهوى..

هوى برج البث الرئيسي، لجريدة (أنباء الفيديو)، بمنتهى القوة والعنف، ليسحق مبنى إضافيًا قريبًا، ويتحطمْ على الأرض، وتتناثر أجزاؤه على مساحة واسعة شاسعة..

ومن بعيد، رأى (نور) قطعة كبيرة من البرج المحطمْ تتدحرج نحوه..

بمنتهى السرعة..

ومنتهى العنف..

وبسرعة، انتزع نفسه من توتره الشديد، ووثب داخل سيارته، وهو يهتف:

- يا إلهي! لقد فعلها! لقد فعلها.

ضغط أزرار سيارته، وانطلق بها إلى الخلف بسرعة، ثم دار بها حول محورها في براعة، قبل أن يثب إلى الأمام، محاولاً تفادي تلك القطعة الضخمة من البرج، التي تتدحرج نحوه..

كانت تلك القطعة تتجه إلى سيارته مباشرة، وكأنها تطارده..

وضغط (نور) دواسة الوقود.

ووثبت سيارته في مهارة..

وانحرف بها جانبًا..

وزاد من سرعتها..

و...

ولو أن سائقًا بارعًا رأى ماحدث ، لأقسم إنه أمام محترف قيادة من طراز نادر ، لايشق له غبار ..

وأن مناورته قادرته على تفادى قطعة البرج الضخمة حتمًا ..

وهذا ما وقر فى نفس (نور) أيضًا ..

ولكن ماحدث فى اللحظة التالية ، كان مذهلاً بحق ..

لقد انحرفت قطعة البرج نحوه ، وتدحرجت فى اتجاهه الجديد مباشرة ، وكأنها تطارده على نحو خاص ..

وناورها (نور) مرة أخرى ..

وثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

ولكن القطعة واصلت انحرافها نحوه فى إصرار ، كما لو أن ذلك العقل الجبار يسيطر عليها ، ويقودها فى اتجاهه طوال الوقت ..

وهتف (نور) فى عصبية :

- إذن فهذه خطته الجديدة .

ثم ضغط زر المحركات الصاروخية ، مستطردًا فى صرامة :

- فلنر إذن ، كم تبلغ سرعة عقلك .

انطلقت سيارته بسرعتها الصاروخية القصوى ، على نحو مفاجئ ، شعر معه (نور) وكأنه قد تلقى لطمة قوية ، على وجهه وصدره ..

ولكنه احتمل ..

وضغط دواسة الوقود أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ولثوان ، تصوَّر أن مناورته الجديدة قد أفلحت ..

وأنه قد أفلت من هذه المطاردة الجنونية ..

حتى حدث ذلك الهجوم الجديد بغتة ..

عشرات من الطيور الصغيرة ، انقضَّت على سيارة (نور) بغتة ..

انقضَّت على زجاجها الأمامى ، وارتطمت به بعنف ..

بمنتهى العنف ..

ولولا أن زجاج سيارته من نوع مصفَّح ، مضاد للرصاصات ، وغير منفذ لأشعة الليزر ، لتحطَّم فى وجهه بقوة ..

ولكن الطيور الصغيرة لم تنقضَّ على الزجاج فحسب ..

لقد انقضَّ بعضها على مداخل المحركات الصاروخية..

واضطربت المحركات بشدة ..

ثم انفجر المحرك الأيسر..

واختلَّ توازن سيارة (نور) دفعة واحدة ..

ومع اختلال توازنها ، فشلت مناورتها الأخيرة ، ولم تنجح فى تفادى قطعة البرج الموجَّهة ، و ....

وحدث الارتطام ..

والانفجار المحدود فى مؤخرة السيارة ..

ثم الانقلاب فى عنف ..

وتدحرجت سيارة (نور) على الطريق ..

وتدحرجت ..

وتدحرجت ..

وفى نفس اللحظة التى استقرَّت فيها على الطريق ، انقضَّت عليها قطعة البرج المحطَّم ..

وسحقتها سحقًا ..

بلا رحمة ..

* * *



وفى نفس اللحظة التى استقرت فيها على الطريق ، انقضت عليها قطعة البرج المحطّم .

فجأة ظهرت تلك الموجات المخيفة مرة أخرى ، على شاشة الجهاز المتطوّر الجديد ..

ظهرت مصحوبة بأزيز تحذيرى متصل ، جعل الكل يلتفت إليها فى ذعر ، و(سلوى) تهتف :

- رباه ! لقد عاد .

انعقد حاجبا (نشوى) بشدة ، وهى تحدّق فى الشاشة ، فى حين هتف رئيس الفريق ، متسائلاً فى هلع :

- ولكنها لاتبدو بنفس الشدة السابقة .

أجابته (نشوى) فى توتر :

- من الواضح أنه قد أسقط برج البث الرئيسى ، لجريدة (أنباء الفيديو) ، والذى كنا نستخدمه للبث العام ، ولكن نظام البث ، الذى نستخدمه داخليًا ، مازال يعمل بكفاءة ، لذا فنحن نستقبل موجاته بوساطة الهوائى الخارجى فحسب .

سألها في توتر مذعور :

ـ أيعني هذا أننا آمنون هنا ؟!

هزت رأسها نفيًا ، قائلة :

ـ ليس بالضرورة .

اتسعت عيناه في هلع ، وهو يهتف :

ـ رباه ! أيمكن أن ..

قاطعته (سلوى) في صرامة :

ـ رويدك ياسيدي .. دعنا لاتضيع الوقت في الذعر والفزع .

ثم أشارت إلى شاشة الجهاز المتطور ، مستطردة في انفعال :

ـ لقد ظهرت موجات (محمود) أيضًا على الشاشة .. يبدو أن نظريتي الخاصة بارتباط الموجتين صحيحة .

والتفتت إلى (نشوى) ، قائلة في حزم :

ـ ابدئي الاتصال فورًا .. لن نبحث عملية الإحلال والاستبدال الآن .

هتفت (نشوى) ، وهي تضغط أزرار الكمبيوتر في سرعة :

ـ بالتأكيد .

استغرق الأمر ثلاث ثوان فحسب ، قبل أن تبث رسالتها إلى (محمود) ، وهي تقول في حماسة :

ـ لقد برمجت جهازي ، بحيث يحول موجاته إلى كلمات مسموعة ، فور استقبال جهازكم له ، ولو نجح الاتصال ، سأستخدم برنامجًا موازيًا ، لتحويل كلماتنا العادية إلى موجات متناهية القصر أيضًا ، بحيث يتم الاتصال الصوتي بيننا وبين (محمود) فورًا .

غمغم رئيس الفريق في عصبية :

ـ أتعشم أن يفلح هذا .

تمتمت (سلوى) فى توتر :

- كلنا نتعشّم هذا .

مضت الثوانى بطيئة متثاقلة ، والكل يتطلّع إلى شاشة الجهاز المتطوّر ، الذى راحت الموجات المخية الفائقة ترتسم عليه على نحو متصاعد مقلق ، و ...

وفجأة ، ظهرت موجات (محمود) على الشاشة ..

وفى اللحظة نفسها تقريبًا ، ارتفع صوته ، من جهاز (نشوى) ، وهو يقول :

- رباه ! لقد وجدنا وسيلة اتصال أخيرًا يا رفاق .

تهلّلت أسارير (سلوى) ، وهى تهتف :

- يا إلهى ! إنه هو .. لقد نجحنا يا (نشوى) .. لقد نجحنا .

أسرعت أصابع (نشوى) تبث سؤالها الجديد إليه ، عبر أزرار جهازها :

- ما الوسيلة التى يمكننا أن نوقف بها ذلك الشر ،

الذى يهاجمنا بمنتهى العنف والشراسة يا (محمود) ؟!

مضت ثوانٍ أخرى من الصمت ، قبل أن يأتيهم الجواب :

- لاتوجد وسيلة تكنولوجية للتغلّب عليه يا رفاق .. العقل لايهزمه سوى العقل .

سألته (نشوى) ، عبر أزرار جهازها :

- ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

خفق قلب (سلوى) فى قلق ، عندما طالت الثوانى هذه المرة ، قبل أن يأتى جوابه ، قائلاً :

- إنه أمر أعجز عن شرحه يا رفاق .. الشر الذى تواجهونه ليس بشريًا خالصًا كما تتصوّرون .. إنه شىء أشبه بـ ...

اختلّت الكلمات بغتة ، وامتزجت بشوشرة قوية ، حجبت منطوقها تمامًا ، فى نفس الوقت ، الذى هتفت فيه (سلوى) فى توتر :

الموجات المخية تتعاظم ، على نحو مخيف

يا (نشوى) .. إنها تبلغ ضعف ما كانت عليه ، قبل أن تستخدم نظام البث الداخلي ..

التقى حاجبا (نشوى) ، بكل توتر الدنيا ، عندما لاحظت أن موجات المخ الفائقة ، قد امتزجت تمامًا بموجات (محمود) هذه المرة ، وحجبتها على نحو مدهش ، فأسرعت تدق أزرار جهازها ، وهي تغمغم في عصبية :

- رباه ! تُرى هل ...

بترت عبارتها دون مبرر ، ولكن رئيس الفريق هتف ، في انزعاج مذعور :

- ماذا يحدث هنا ؟! ماذا يحدث ؟!

هزّت (سلوى) رأسها في قوة ، وأصابعها تحاول السيطرة على الموقف ، هاتفة في عصبية :

- لست أدري ! هذا أمر يتجاوز كل القواعد العلمية .. يتجاوزها تمامًا .

مع آخر حروف كلماتها ، اتسعت عينا (نشوى) في ذعر ، وهي تهتف :

- يا إلهي ! البث الداخلي للموجة المضادة توقف أيضًا .

ثم استدارت إلى أمها ، صائحة :

- لقد استعاد سيطرته على كل شيء ،

هتفت (سلوى) في عصبية شديدة :

- بل صار أكثر قوة ..

وفجأة ، ومع قولها ، انفجرت علبة الأسلاك العاملة للجهاز المتطور الجديد ..

ثم تحطمت شاشته دفعة واحدة ..

تحطمت دون أن تنفجر ..

فقط تحولت إلى قطع مهشّمة ، تساقطت عند أقدامهم ..

وصرخ رئيس فريق العلماء ، بكل ذعر الدنيا :

- يا إلهي ! لقد عاد .. عاد لينتقم منا .

ثم استدار ، وانطلق يعدو ، وكأنما يحاول الفرار من عدو مجهول ..

أما (سلوى) و(نشوى) ، فقد تجمدتا فى مكانهما ، وكأنما أصابهما ذلك المزيج المخيف ، من الذعر والذهول ..

ولكن قلبيهما لم يتجمدا ..

لقد خفقا فى عنف ..

وخفقا ..

وخفقا ..

ثم هويا بين أقدامهما ..

فشعور الفشل ، فى تلك اللحظات العصيبة ، كان قاسيًا بحق ..

قاسيًا إلى أقصى حد ...

لقد فشل جهدهما ، فى نفس اللحظة التى كاد (محمود) يشرح فيها ما لديه ..

ويصف كيفية المقاومة ..

ونقطة ضعف الخصم ..

وأبشع أنواع الفشل ، هو ذلك الذى يصطدم به المرء ، بعد أن تصوَّر أنه قد اقترب من النجاح ..

وفى مرارة يائسة ، غمغمت (نشوى) :

ـ لقد عاد .

أضافت (سلوى) فى مرارة مماثلة :

ـ لينتقم .

والعجيب أن كلتيهما ، ودون اتفاق مسبق ، لم تحاولا الفرار ..

ربما لأنهما أدركتا أنه ما من سبيل للفرار ..

وما من مكان للاختباء ..

فخصمهما لايهاجم الأجساد ..

بل العقول ..

والعقل لايفر ..

ولا يختبئ ..

ولقد أتاهما الدليل على هذا ، فور ورود الفكرة إلى رأسيهما ..

فأمامهما ، كان رئيس فريق العلماء يجرى هاربًا ..

ويجرى ..

ويجرى ..

ثم فجأة ، شعرت كلتاهما بتلك الموجة العقلية الجارفة ..

موجة عبرت جسديهما ..

وعقليهما ..

وكيانيهما ..

عبرتهما لحظة ، قبل أن تنقضّ على رئيس الفريق ، الذى أطلق صرخة قوية ، وجسده يندفع إلى الأمام ، كما لو أنه قد تلقّى ركلة بالغة العنف فى ظهره ..

وسقط الرجل على وجهه أرضًا ، وهو يطلق صرخة ثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

ثم أمسك رأسه ، ودار حول نفسه ، والرعب يملأ كل لمحة فى وجهه ، وعيناه تتسعان عن آخرهما ، و ...

وسقط فجأة ..

سقط والدماء تتفجّر من أنفه وفمه فى غزارة ، وتضع بركة حمراء قانية حول رأسه ..

كان مشهدًا بشعًا رهيبًا ، تنخلع له قلب (سلوى) ..

أما (نشوى) ، فقد سرت فى جسدها موجة أخرى ..

موجة من الغضب ..

والثورة ..

والاحتجاج ..

موجة جعلتها تنهض فجأة ، صارخة :

- كفى .

ارتجفت كل ذرة فى كيان (سلوى) ، عندما سمعت صرخة (نشوى) ، ووجدت نفسها تهتف فى رعب :

- (نشوى) ؟! ماذا تفعلين ؟!

خُيِّل إليها أن ابنتها لم تسمعها ، وهى تواصل بكل الغضب والصرامة :

- كفاك ما أرقت من الدماء .

نهضت (سلوى) تمسك يد ابنتها ، هاتفة :

- (نشوى) .. هل جننت ؟!

استدارت إليها (نشوى) ، قائلة فى حدة :

- إنه لايسعى للانتصار والسيطرة فحسب يا أمى .. إنه يعشق الشر وسفك الدماء .

قالت (سلوى) متوسلة :

- أرجوك يا (نشوى) .

أمسكت (نشوى) كتفى أمها فى قوة ، وهى تقول فى صرامة ، جعلتها أشبه ما تكون بأبيها :

- لاتتوسلى يا أمى .. كل كلمات الدنيا لن تكفى ، لإثارة ذرة واحدة من الرحمة أو الشفقة ، فى قلب هذا الوغد ؟

ثم أدارت عينيها فى المكان ، مضيفة فى صرامة :

- لو أن له قلبًا .

تفجَّرت الدموع من عينى (سلوى) ، وهى تقول :

- وماذا لو قرَّر قتلك ؟!

هزَّت (نشوى) رأسها فى قوة ، مجيبة :

- ماذا لو ؟! لقد اتخذ قراره بالفعل يا أمى .. إنه سيقتل الجميع بلا رحمة .

وأطلَّت من عينيها صرامة متناهية ، مع إضافتها :

- إنه يستمتع بهذا .

وانعقد حاجباها ، وهى تعيد بصرها إلى عينى أمها ، مستطردة :

ـ لذا لاتتوسلى .. لاتخافى أو تحزنى .. كل ما يمكن أن يفعله بنا هو أن يقتلنا ، ولكنه لن يذل ناصيتنا ، أو يحطم إرادتنا أبدًا .

تراجعت (سلوى) ، وهى تتطلع إليها فى دهشة .. إنها بالفعل تشبه والدها ..

ربما كانت ملامحها أقرب إليها هى ..

ولكن قوتها وإرادتها هما صورة من قوة وإرادة أبيها ..

(نور) ..

المقدم (نور الدين محمود) ..

هو أيضًا كان من المستحيل أن يستسلم ، أو ينهار ..

أو حتى يجثو على ركبتيه ..

لو أنه فى مكانها ، لقرر أن يموت بنفس الأسلوب ، الذى اختارته هى ..

قويًا ..

صارمًا ..

عنيدًا ..

واقفًا على قدميه ..

لذا ، فقد تراجعت (سلوى) ..

تراجعت فى صمت ، وهى تتطلع إلى ابنتها فى حنان ..

فى انبهار ..

وفى زهو ..

أما (نشوى) ، فقد اعتدلت ، وكأنها تواجه خصمًا مجهولاً ، قائلة بكل العناد والصرامة والصلابة :

ـ أعلم أنك هنا .. عقلك هنا فى مكان ما .. يراقب كل ما نفعله ، ويسمع كل ما نقوله .. أعلم أنك هنا .

ثم رفعت قبضتها عاليًا ، لتصيح فى قوة :

- وأنا أتحداك .

وعلى الرغم منها ، شعرت (سلوى) بقلبها ينتفض هلعًا بين ضلوعها ..

بل ويبكى ..

يبكى بدموع من دم ..

ولكنها لم تعلق ..

أو تتدخل ..

أو حتى تعترض ..

فابنتها التى تعرفها ، لن تتراجع عن هذا التحدى أبدًا ..

مهما كانت النتائج ..

ومهما كان الثمن ..

وقفتها الثابتة المتحدية تثبت هذا ، وصوتها القوى الحازم الصارم يعلنه بكل وضوح ، وهى تواصل :

- هل سمعتنى جيدًا أيها الوغد ؟!

إننى أتحداك أن تمس شعرة واحدة منى .. أتحداك أن تسيطر على عقلى ، كما فعلت مع الآخرين .

وارتفع صوتها ، حتى بلغ مرتبة الصراخ ، وهى تضيف مكرّرة :

- إننى أتحداك .

راحت (سلوى) تتلفّت حولها ، وهى تتساءل فى ذعر : أهو هنا حقًا ؟!

هل سمع تحدى ابنتها ؟!

هل أدرك ما يحدث ؟!

وماذا سيكون رد فعله ، لو أنه هنا بعقله ؟!

ماذا سيفعل بها ؟!

بابنتها ؟!

ثم قفز سؤال آخر إلى ذهنها ..

تُرى لماذا تفعل (نشوى) هذا ؟!

لماذا تتحداه على هذا النحو ؟!

أهو مجرد غضب ، أو انهيار عصبىّ ؟!

أم أنه لديها خطة ما ؟!

وأية خطة تلك ، التى تستلزم تحديًا رهيبًا كهذا ؟!

أية خطة ؟!

ومرة أخرى ، صرخت (نشوى) ، وهى تلوّح بقبضتيها فى الهواء :

- أين أنت أيها الجبان ؟! قلت لك إننى أتحداك .

وهنا شعرت (سلوى) بشىء ما يعبر جسدها .

أو يعبر عقلها ..

ثم هوى قلبها بين ضلوعها ، عندما رأت (نشوى) تتراجع إلى الخلف بحركة حادة ، كما لو أنها قد تلقت لكمة فى أنفها ، قبل أن تسقط أرضًا ، وجسدها كله يرتجف فى قوة ..

عندئذ ، وعندئذ فقط ، صرخت (سلوى) :

- لا .. ليس (نشوى) .

وانهار كيانها كله ، وهى تندفع نحو ابنتها ، التى بدت وكأنها تلفظ أنفاسها ..

أنفاسها الأخيرة .

* * *

انتهى الجزء الثانى بحمد الله

ويليه الجزء الثالث بإذن الله

(الخصم الرهيب)